جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

العلوم الإنسانية
تاريخ عام
تاريخ الوطن العربي المعاصر

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
عواطف بن دخة

يوم: 03/07/2019

مساجد قسنطينة ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية (1837-1940)

لجنة المناقشة:

فتيحة شلوق	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيس
لخضر بن بوزيد	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مقرر
حورية ومان	أ. مح ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقش

السنة الجامعية : 2018 - 2019

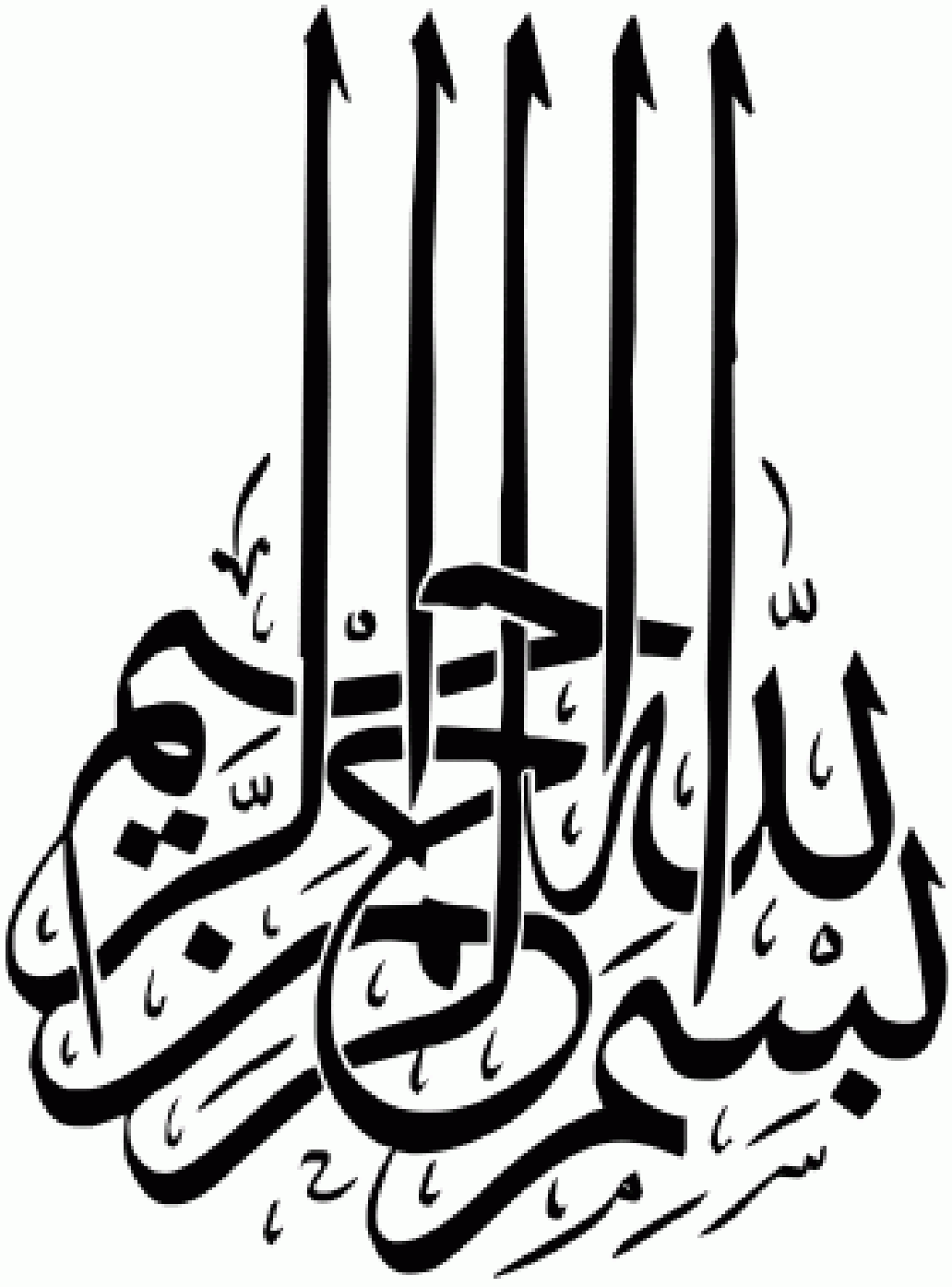
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من قال فيهما سبحانه وتعالى: << وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحسانا >> "أمي وأبي الحبيبين"

إلى من تعب من أجلي ولا يزال يتعب إلى أطيب شخص عرفته في حياتي، إلى الرجل العظيم الذي أحاطني بالحب والرعاية وبذل الكثير من أجلي، إلى من رباني وأحسن تربيتي، إلى من يحترق صمتا لينير لي طريق البر والأمان..."

أبي العزيز"

إلى التي أدين لها بوجودي إلى الصدر الحنون والحضن الدافئ، إلى التي حملتني وهنا على وهن ومنحتني كل الحب والحنان، إلى أقرب شريان إلى قلبي، إلى من تفتحت عيناي عليها..."

أمي الغالية "

إلى من ترعرعت معهم وتقاسمت معهم حلو الحياة ومرّها، إخوتي وأخواتي: **ناصر، زياد، راشدة، أصالة، فرح**، والكتكوتة الصغيرة **وصال**

إلى من تقاسمت معها عناء وتعب هذه المذكرة الصديقة المخلصة " **رحالي كريمة** "، وإلى عائلتها الكريمة وأخصّ بالذكر " **رحالي وردة** "

إلى من شاركني حلو الجهد ومره شريكي بالحياة " **عصام لعطالة** "، وإلى خالتي " **مادي عائشة** " التي رافقتني منذ بداية المشوار إلى نهايته لها مني تحية خالصة، إلى أمينة وكريمة

إلى من تقاسمت معهم حلو الأيام الجامعية ومرّها: **أميرة، زينب، يمينة، فوزية، سمية**

إلى كل من عرف عواطف وأحبّها لكم مني كل التحية والإخلاص.

شكر وتقدير

قال تعالى:<< فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون >> البقرة/ 152.

ومن لا يشكر الله لا يشكر العبد، ومن لا يعترف بأفضال الناس عليه يكون ناكرا للجميل، فالحمد لله الذي هدانا وأوقد فينا شعلة العلم، وزرع في نفوسنا حب الاجتهاد والمثابرة والنجاح.

واعترافا بكلّ ما قدّمه لي من توجيهات ونصائح أتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الفاضل والمحترم " بن بوزيد لخضر" لقبوله الإشراف على هذا العمل المتواضع وعلى تشجيعه وتحفيزه لي وعلى كل توجيهاته السديدة.

كما أتقدّم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة قسم التاريخ وأخص بالذكر " بوطارفة الصادق ".

وأيضا أتقدّم بالشكر إلى عمال مكتبة التاريخ بجامعة عبد الحميد مهري- 2- والجامعة الإسلامية الأمير عبد القادر بقسنطينة.

وإلى كل من قدّم لي يد المساعدة ولو بكلمة طيبة.

مقدّمة

عرفت مدينة قسنطينة منذ القدم بحضارتها العريقة المتنوعة والمتعددة وذلك في إطار المقاومة الثقافية التعليمية، لعنايتها الكبرى بمؤسساتها الدينية والثقافية فأصبحت بذلك معقلا للعلم والعلماء ورمزا للحضارة والرقي، وفي حديثنا عن هاته المؤسسات خصصنا في الذكر المساجد الشائعة والمتعارف عليها في هاته المدينة باعتبار أن هاته الأخيرة (المساجد) كانت تمس هوية المدينة بصفة خاصة والجزائر بصفة عامة، ومن المعروف أن المسجد كان ولا يزال مثالا للمقاومة الثقافية ورمزا من رموز الهوية، والتي تحافظ على السيادة باعتباره مؤسسة دينية تعليمية وهذا ما حاولنا إسقاطه على قسنطينة المدينة والحضارة والتاريخ، مصدر إلهام للعلماء والدارسين بها رغبة منهم في فك رموزها العديدة والمتنوعة، وباعتبار أن المساجد هي تراث مادي وأكبر دليل على وجود حضارة لمنطقة معينة والعمارة الإسلامية بصفة عامة وتسجل لنا تاريخ معين وتعطينا صورة صادقة عن الأصالة والتفنن وكذا كان الحال بالنسبة لمدينة الجسور المعلقة الحاضرة في كل زمان ومكان بعلمها وثقافتها وتاريخها ومعالمها.

وبعد هذا الطرح حاولت تخصيص دراستي حول مساجد قسنطينة، وذلك لإعطاء صورة خاصة عن عمارتها ومؤسسيها والدور الذي قامت به، ولكي يبقوا شاهدا عليهم وعلى انجازاتهم ولكي يدونوا في التاريخ هم وأئمة هاته المساجد والمدرسون بها والعلماء الذين تخرجوا منها، ولدراسة هذا الموضوع وجب علينا الإجابة على تساؤل رئيسي وهو: **ما هو الدور الذي قامت به مساجد قسنطينة في الحفاظ على هوية المدينة في عهد الاستعمار الفرنسي في الفترة الممتدة بين (1837-1940)** ؟ وقبل الإجابة على هذا التساؤل لا شك أن هناك أسئلة أخرى تحتاج منا لإجابة:

- ما مدى ازدهار النشاط العلمي بقسنطينة وكيف كانت حالة التعليم وما الدور الذي جسدته المدارس والمساجد بالمدينة؟
- ما هي أهم المساجد التي ساهمت في الحفاظ على الهوية الثقافية لقسنطينة؟
- ما هي أبرز الشخصيات التي ارتبط ذكرها بهاته المساجد؟

وقد وقع اختياري على هاته الفترة بالذات لكونها أهم فترة مرت بها المدينة ونشط فيها دور المساجد وبوفاة العلامة عبد الحميد بن باديس تهاون عمل المساجد وقل جهد العلماء فيها.

وللإجابة على هذه التساؤلات قمت بتقسيم خطة الدراسة كالتالي: مدخل تناولت فيه التعريف بقسنطينة من خلال عرض موقعها جغرافيا ومحيطها الطبيعي للتعرف أكثر عن المنطقة وإدراك الموقع الاستراتيجي لها، الذي جعلها فريدة من نوعها والتطرق لأهم التسميات التي تداولت عليها الألسنة في مختلف عصورها، إضافة إلى الوقوف على أهم معالمها الأثرية وأهم العناصر التي جعلتها تسمى بمدينة الجسور المعلقة، مبرزة في ذلك ما قاله فيها الأدباء والرحالة الفرنسيين والذين أعطوها الألوية في الوصف على غرار المدن الجزائرية الأخرى.

أما فصلي الأول فكان معنون بالوضع الثقافي بمدينة قسنطينة حاولت التطرق فيه للوضع الثقافي أواخر العهد العثماني من 1771 إلى 1830 والوقوف خاصة على فترة حكم "صالح باي" و"أحمد باي"، إضافة إلى الوضع التعليمي للمدينة غداة الاحتلال الفرنسي من 1837الى1940 وذلك لعرض حالة التعليم على وجه الخصوص والوضع الذي ألت إليه المؤسسات التعليمية بعد مجيء الفرنسيين، ومن ناحية أخرى تناولت حركة التعليم بالمدارس القسنطينية واتخذت نموذج للمدرسة الكتانية ومدرسة سيدي لخضر نتيجة الدور الهام لهما، إضافة إلى الارتباط الوثيق لهما بمسجد سيدي لخضر والمسجد الكتاني خاتمين فصلنا بالدور الثقافي والتعليمي للمساجد محاولين تطبيقها على مساجد قسنطينة.

في حين تناولت في الفصل الثاني بعضا من هاته المساجد وقد وقع اختيارنا لنماذج منها على حسب الدور الذي قدمته طوال القرون الفارطة والسنين الغابرة "الجامع الكبير_ جامع سوق الغزل –جامع سيدي لخضر _جامع سيدي الكتاني " مع تقديم لمحة بسيطة عن باقي المساجد، وذلك بالتعرض إلى مواقع هذه المساجد ومؤسسيها وهيكلتها والتطرق لأهم التغيرات التي طرأت عليها.

أما في الفصل الأخير فقد تناولت نماذج لعلماء مساجد قسنطينة فخصصت في الذكر" الشيخ عبد القادر المجاوي والشيخ صالح بن مهنا والشيخ المولود بن موهوب إضافة إلى العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس " عارضين بذلك أهم أعمالهم وتعليمهم بقسنطينة وتوليهم للتدريس بمساجدها، إضافة إلى أهم شيوخهم وتلامذتهم.

وقد سبقني لدراسة هذا الموضوع: حروش مفيدة، أطلس المعالم الإسلامية بمنطقة قسنطينة (دراسة تاريخية أثرية) إضافة إلى عبد القادر دحدوح: مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني (دراسة عمرانية أثرية)، وأثناء إطلاعي على جملة هاته الدراسات وجدت أنه قد تم معالجة الموضوع فيها من زاوية أثرية فقط أي التركيز فقط على الجانب المعماري غافلين في ذلك الدور التاريخي العلمي لهاته المساجد، إضافة إلى الإحاطة بموضوعي

بصفة عامة فهو جزء فقط من هاته الدراسات، فحاولت كطالبة في التاريخ إثراء الجانب التاريخي لها وتقديم هاته الدراسة من منظور أخر وزاوية مغايرة للطرح الذي درس، محاولة بذلك إعطاء لمحة عن دور مساجد قسنطينة في الحفاظ على الهوية الجزائرية، والوقوف على أهم مدرسيي هذه المساجد فمنهم من أهمل من قبل الأقلام الجزائرية.

وتكمن أهمية الموضوع في كون المسجد مؤسسة دينية حاولت بدورها أن تمثل عمود الأمة العربية الإسلامية وتطور مفهومها عبر الأجيال فصارت واقعا حتميا نعيشه في ضل حاضرنا، فلم يعد دور هذه المؤسسة روتينيا يتجسد فقط في أداء الصلوات بل تطور إلى كل من تربية وتعليم وتثقيف، إضافة إلى كون هذا الموضوع يعطينا فكرة عن ما كانت هاته المساجد تعيشه في مدينة قسنطينة في ضل احتلالها، ونزيد عن هذا أهمية أخرى وهي أن هذه المساجد تبنت بين جدرانها أكبر العلماء الذين عملوا على إعلاء كلمة واحدة مفادها محاربة كل أنواع العنصرية والتضليل ومحو الهوية التي اعتمدتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في المدينة.

ومما دفعني وشدني لاختيار هذا الموضوع من أسباب موضوعية:

- التعرف على الدور الذي قامت به المساجد في مدينة قسنطينة لتدون التاريخ القسنطيني.
- التطرق للمساجد من زاوية التعريف بالهوية الجزائرية.
- محاولة التعريف بالمساجد والوقوف على بعض التفاصيل المجهولة من تاريخها وتاريخ نشأتها ومؤسسيها.
- الوقوف على أهم الشخصيات الفاعلة في المدينة والناشئة من رحم مساجدها.

أما الذاتية فكان من بينها:

- إبراز جانب مختلف عما درس من قبل والتطرق إلى مدينة الحضارة والعلم، إضافة إلى إعجابي بالمدينة البادسية أرض العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس.
- تناول الموضوع من جانب تاريخي يمس الهوية الوطنية التي تعتبر القلب النابض لكل فرد جزائري ومحاولة مني إعطاء الأهمية الكبرى لهاته المساجد والنهوض بها فهي رمز علم ودين ومقوما من مقومات الدولة.
- اعتبار المسجد عنصر أساسي يمس الشخصية الجزائرية وحده جذبني لدراسة هذا الموضوع، والتعرف على ما استطاع أن يقدمه هذا المسجد خلال محنة الاستعمار وفي ضل الأوضاع التي كانت تعيشها مدينة قسنطينة آنذاك.

- الرغبة في زيارة هاته المساجد والتعرف عن قرب على الحال الذي آلت إليه ورسم صورة على معقل شيوخ المدينة الكبار وعلمائها الذين وجب على التاريخ عدم نسيانهم وتدوين أثارهم والاحتفاظ بها.

وكان أهم هدف حاولت التركيز عليه وإعطائه الحيز الأكبر من الدراسة هو: تسليط الضوء على مساجد مدينة قسنطينة التي دونت التاريخ القسنطيني وصنعت الحدث بعمارتها الفريدة مع إبراز النقاط التي حاول فيها علماء مدينة قسنطينة الإبقاء على تعاليم الدين الإسلامي واستحضار أثار أسلافهم في دروسهم وخطبهم لغاية مفادها الحفاظ على كل ما تحمله الهوية الوطنية من معنى.

وإن طبيعة الموضوع المتداول يتطلب مني أن أعالجه وفق منهج بحث معين فحددت بذلك المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل والمقارنة فتجسد التاريخ بكوني حاولت إعطاء دراسة نظرية في الطرح الكرونولوجي لهذه المساجد والتعرض لتاريخها وأهم علمائها ومؤسسيها مركزين في ذلك على الجانب التاريخي أكثر، أما الوصف فبكون الموضوع يتطلب دراسة أثرية لهذه المساجد حاولت القيام بدراسة ميدانيه لبعض منها، وذلك من خلال زيارتها والتعرف على الحال التي ألت إليه والاستعانة بدراسات أثرية لتوضيح الصورة أكثر ووصفها جغرافيا، أما في ما يخص التحليل فقد حاولت به إعطاء صورة عما كانت تعيشه وتقديم بعض التوضيحات في عرض أهم المحطات التي مرت بها مساجد قسنطينة، في حين المقارنة فقد تجسدت فعليا بين الوضع الثقافي التعليمي الذي كانت تعيشه هاته المدينة قبيل الاحتلال وبعده.

وقد كانت أهم المصادر والمراجع التي استقيت منها معلوماتي وأثرت بها زادي المعرفي:

- كتاب لكمال غربي: المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، كنت قد استفدت منهما في الدراسات الأثرية للمساجد المتواجدة بالمدينة.

- كتاب علي بن شعيب محمد المهدي الحامل لعنوان "أم الحواضر في الماضي والحاضر" المتضمن لتاريخ قسنطينة، وقد أفادني هذا الأخير في دراسة جل المساجد والتعريف بها من خلال تصنيفها بين الباقية إلى حد اليوم والمندثرة بالاحتلال الفرنسي وتحديد الفترة التي قامت فيها.

ولا ننسى أيضا كتاب: أبو القاسم سعد الله "تاريخ الجزائر الثقافي" بأجزائه(ج1 ،3، 5، 7، 8) والذي استطاع أن يصور لي لمحة عن الواقع الثقافي الذي عاشته قسنطينة في تلك الفترة، إضافة إلى ذكره لبعض العلماء المشار

إليهم، وما شدني في ذكر هذه المراجع هو إغفال جوانب كثيرة من موضوع دراستي فيها والاكتفاء بذكرها فقط سطحيا والإشارة إليها دون التعمق أكثر فيها أو وضعها في قالب أثري بعيد عن التاريخ.

وعند تعرضي لدراسة هذا الموضوع واجهتني جملة من الصعوبات كان على رأسها قلة المصادر التي تخص المساجد في الدراسة وذلك من الناحية التعليمية، فجل الدراسات المتحصل عليها كانت كما قلنا سابقا في النطاق الأثري فلم أعثر على دراسة وقفت على المساجد وطرق تعليمها والبرنامج الذي كانت تدرس به حتى في جامعاتها لم أجد دراسة تحدثت عن هذا الجانب، خاصة وأن المساجد كانت تمس الهوية في بلادنا ووجب علينا تخصيصها بالدراسة، وصعوبة التنقل كثيرا لمدينة قسنطينة كما واجهت عرقلة في التقاط صور للمساجد من الداخل خاصة تلك التي وجدتها في حالة ترميم فتلقيت الرفض من الجهات المختصة، إضافة إلى ندرة المصادر باللغة العربية فجلها باللغة الفرنسية والتي صعب علي ترجمتها.

مدخل:

التعريف بمدينة قسنطينة

قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري ومدينة الجسور المعلقة ونافذة العلوم ومستوطن العلماء، موقعها يكشف إستراتجيتها فهي إحدى ولايات الجزائر الواقعة فلكيّا على خط طول 36,23 شمالا وخط 7,35 شرقا، وبهذا تكون قد احتلّت رقعة مميّزة في الشرق الجزائري، أمّا جغرافيا فهي واقعة في الشمال الشرقي للبلاد تحدها ولاية قالمة شرقا وولاية ميلة غربا، أمّا سكيكدة فمن الناحية الشمالية، وفي الجنوب ولاية أم البواقي،[1] وموقعها الجغرافي جاء على شكل مدرج يرتفع في الشمال الغربي، وهو اهليجي يرتكز في أساسه على الانحناء الإلتوائي الكبير المتجه نحو الجنوب الغربي في خط يكاد يكون مستقيما وعلى مسافة يقدر طولها بخمسمائة متر على هذا الانحناء الكبير،[2] وتبعد المدينة بمسافة 245 كلم عن الحدود الشرقية الجزائرية التونسية وحوالي 431 كلم عن العاصمة غربا و235 كلم عن بسكرة جنوبا و89 كلم عن سكيكدة، ونعود ونقول أن موقعها متميز حيث تتربع على صخرة مترامية الأطراف تحيط بها الانحدارات والجروف، وهي تتوسط إقليم الشرق الجزائري الذي يعتبر من أكبر الأقاليم الجزائرية مساحة وسكانا والأكثر نشاطا اقتصاديا، و تتميز بكونها تعطي منظرا فريدا يستحيل أن يوجد مثله عبر العالم.[3]

إضافة إلى كل هذا تواجدها فوق صخور وعرة وتكاد تكون هذه الصخور محيطة بثلاثة أرباعها، ونجد أنه في سفح هذه الصخور يسيل نهر عرضه حوالي 150 قدما وعمقه 3 أقدام،[4] كما تغلب عليها الصخور الكلسيّة نتيجة مرورها بعدة أطوار جيولوجية قبل أن تأخذ شكلها الحالي، كما يدلّ تواجد الصلصال الرمليّة والأحجار على أنّ البحر كان يغطي شمال البلاد منذ حوالي 150 سنة،[5] وبهذا يمكن القول أنّها مدينة عريقة يشهد لها التاريخ نتيجة مكانتها الفعالة، وهاته المكانة تجسدت بالدرجة الأولى على المستوى التجاري وذلك في كونها مثلت نقطة عبور لمختلف الطرق التجارية واعتبرت سوقا كبيرة تربط بين الشرق والغرب.[6]

ونجد أن "البكري" وصفها قائلا: "هي مدينة أولية كبيرة أهلة ذات حصانة ومناعة وليس يعرف أحصن منها وهي على ثلاث أنهار عضام تجري فيها السفن وقد أحاطت بها، تخرج من عيون تعرف بعيون أشقار- تفسيره السود- وتقع هذه الأنهار في خندق بعيد القعر متناهي البعد، وقد عقد في أسفله قنطرة على أربع حنايا

---

(1) قماس زينب: المجمعات السكنية الحضرية بمدينة قسنطينة واقعها ومتطلبات تخطيطها (دراسة ميدانية للمنطقة السكنية الحضرية الجديدة)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الحضري، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006، ص44.

(2) ناصر الدين سعيدوني: وصف مدينة قسنطينة، مجلة الأصالة، مج 19، ع 56-61، (1398هـ/1978م)، ص8.

(3) محمد الهادي عروق: مدينة قسنطينة (دراسة في جغرافية العمران)، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د ب)، 1984، ص14.

(4) فندلين شلوصر: قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، تر: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص27.

(5) رتيبة حمود: الألغاز الشعبية في مدينة قسنطينة (دراسة إحصائية تحليلية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الشعبي، جامعة منتوري قسنطينة، 2004-2005، ص27.

(6) فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة في عهد صالح باي، منشورات ميديا بليس، قسنطينة، 2005، ص7.

ثم بني عليها قنطرة ثانية على الأولى قنطرة ثالثة من ثلاث حنايا ثم بني فوقهن بيت يساوي حافتي الخندق، فيعبر عليه إلى المدينة ويظهر الماء في قعر هذا الوادي من هذا البيت كالكوب الصغير لعمقه وبعده ...".[1]

إضافة إلى "العبدري" الذي تحدث عنها في رحلته وقال: "... فما وصلنا إلى البلد الذي نشفت الخطوب معينة وأبت الأقدار أن تكون له معينة بلد الوضع العجيب و الموضع الخطيب، مدينة قسنطينة خير الله صدعها وكفاها ذوائب الدرهم ما واصل فرعها، وهي مدينة عجيبة حصينة غير أنّها لخطوب الزمان مستكينة... وبها للأوّل آثار عجيبة حصينة ومبان متقنة الوضع غريبة وأكثرها من حجر منحوت يعجز الوصف إتقانه ويفوت و قد دار بها واد شديد الوعر بعيد القعر، كما يحيط بها السور بالمعصم ومنعها كما يمنع النوق المعصم...".[2]

ونزيد عن هذا ماذكره "حسن الوزان" أيضا أنّ قسنطينة بضخامة حجمها تستطيع ضم ثمانية ألاف كانون ولها موارد كثيرة وهي متحضرة ومليئة بالدور الجميلة،[3]وفي هذا الصدد قال أيضا في وصفها "أحمد توفيق المدني":[4] "هي أمّ المدن من الناحية الشرقية ومركز الإدارة والتجارة والثقافة وهي أبدع مدن القطر الجزائري من حيث الموقع الطبيعي، فهي مدينة مبنية على جسر في صخرة بينهما وادي الرمال"[5] وزيادة على ما قاله هذا الأخير "المدني" فقد ذكر فيها أيضا الأديب الشاعر "جي دوموباسان" الذي زارها سنة 1890 في كتابة "ausoleil" حيث قال: " هذه قسنطينة المدينة الظاهرة، قسنطينة الغريبة، فكما الثعبان الحارس يجلس تحت قدميها وادي الرمال الخارق، نهر جهنّم الذي يصب في أعماق هوه حمراء، وكأنّ اللّهب الخالد أحرقه إنّه يجعل من المدينة جزيرة، هذا النهر الغيور والمدهش يحيطها بهوة مرعبة وملتوية بصخورها اللامعة والغريبة...".[6]

ويذهب أيضا "إميل فالي"(E VALLET) ويقول : " تقع مدينة قسنطينة بين التل والهضاب العليا وبين القبائل والسهول وتسيطر على إقليم زراعة الحبوب، وبهذا تعتبر أكبر وأوسع المناطق الزراعية وأغناها وأكثر المناطق الأهلة بالسكان"،[7] وبهذا يكون "فالي" قد أعطانا السبب الذي جعلها تكون من أكبر الأقاليم الجزائرية

---

[1] كعرار سميرة: فن الزخرفة في المنشات الدينية بالشرق الجزائري في الفترة العثمانية (دراسة نموذجية فنية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2007–2008، ص15–16.

[2] منتهل مقروس جهيدة: حاضرة قسنطينة، كرتا النوميديّة و الرومانية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2011، ص43.

[3] حسن بن محمد الوزان: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د س)، ص55.

[4] أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص31–32.

[5] واد الرمال: هو وادي يحيط بالصخرة ويعود تكوينه إلى نهاية الزمن الرابع في عصر البلايستوسين الحديث، عندما بدأت المياه تنحت الصخر الكلسي وتوسع الشقوق الموجودة فيه وتعمها، فكون الوادي سلسلة من الدهاليز تحولت إلى مخازن للمياه التي عملت على كسر سقوف هذه الدهاليز وبهذه الصورة تكون الأخدود الحالي، ينظر رتيبة حميود: المرجع السابق، ص28.

[6] بورايو عبد الحفيظ: مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، ط2، دار مداد يونيفارسيتي براس، قسنطينة، 2013، ص167.

[7] عمار بوطبة: المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2009–2010، ص24.

في الجانب الزراعي من خلال الموقع الذي تربعت عليه فجعل السكان يتسابقون إليها، وبهذا نجد أن مختلف أو جل الكتاب العرب والفرنسيين قد أعطونا وصفا دقيقا عن المدينة من الناحية الطبيعية، والإستراتيجية التي امتلكتها منذ القدم والتي لازالت تحتفظ بها ونجد أن جل الرحالة المتحدث عنهم وحتى لا نقول كلهم قد أولوا وصف الوادي الكبير أي وادي الرمال في كتاباتهم والذي عرفت به المدينة منذ الأزل.

كما امتلكت هاته المدينة عدة تسميات وذلك عبر تاريخها الطويل، وسنحاول الوقوف على هاته التسميات من خلال ماورد في بعض المصادر والمراجع، فمن بين أقدم هاته التسميات كان اسم سيرتا (Cirta)، ويقال عنه أنه اسم سامي الأصل وأنه تحريف للاسم الحقيقي الذي هو (crtn كرتن) والمقصود به هو المدينة أو القلعة،[1] إضافة إلى كونها مدينة قديمة بناها الرومان وقد ورد هذا في كتاب الجزائر (ص 232) لأحمد توفيق المدني الذي ذكر أيضا أن اسم قسنطينة قديما كان تدعى سيرتا،[2] وهنا نجد أن هناك اختلافات في الأراء حول أصل التسمية لقسنطينة وأقرب هذه الآراء هي اسم قسنطينة، الذي هو إسم مركب من كلمة قصر و طينة حيث اجتمعت الكلمتان بحكم النطق المتغير والتطور الزمني في الكلمة، وذلك بتعويض الصاد سينا والراء نونا، ويرى أيضا المؤرخون خاصة الفرنسيين منهم أن الاسم المستقر (قسنطينة) راجع في الأصل إلى الرومان.[3]

وهناك أيضا الكثير من المصطلحات المتوارثة عند بعض المؤرخين حول تسمية المدينة كمصطلح (قطنطينة)، هذا الذي ذكره "العدواني" في كتابه "تاريخ العدواني" حيث اقتبست هذه التسمية نسبة لشجرة في أعلى الجبل كثيرة الأغصان تسمى بهذا الاسم (قطنطينة)، وكان موضعها لا يسكن وقد كان جميع أهل النصارى يعبدونها،[4] ونجد أيضا أنه أيام العلامة القنفذ القسنطيني "أحمد بن الخطيب " المتوفى سنة 810هـ كانت تسمى "حصن طينة "، ولو رجعنا إلى أرجوزة هذا العلامة "سراج المقات في علم الأوقات" فيقول في رجزه:

يعرف بابن قنفذ اشتهاره من حصن طينة تلك داره

أتى بهذا الرجز المهذب بفاس الكبرى من أرض المغرب

كما يسميها المغاربة أيضا (المغرب الأقصى) قسم طينة " قسمطينة"،[5] إضافة إلى أنه أطلق عليها اسم اسم "سيرتا" وهو اسم كنعاني فينيقي وبعدما خربها البربر إثر ثورة دامية، قدم قسطنطين إلى إفريقيا سنة 326م

---

[1] سعودي يمينة: الحياة الأدبية في قسنطينة خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006، ص12.

[2] حسن بن محمد الوزان: المرجع السابق، ص56.

[3] سليمان الصيد: نفخ الأزهار عمّا في مدينة قسنطينة من أخبار، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، الجزائر، 1984، ص9.

[4] العدواني محمد بن محمد: تاريخ العدواني، تق تح تع: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د س)، ص280.

[5] بورايو عبد الحفيظ: المرجع السابق، ص67.

وشرع في ترميمها باسمه قسطنطينة، ونضيف أيضا أنّ العرب وصفها بتسميات عدة "بلدة الهواء وبلدة الهوى"، وفسر سيدي "عمر الوزان" معنى الكلمتين في رسالة بعث بها إلى "حسن أغا" والي الجزائر وخليفة "خير الدين أشقر اللحية" فقال: "فالبلدة هذه المسماة ببلدة الهوى حسي ومعنوي، فهواءها الحسي لا يزيد ولا ينقص في مرآة البصر وهواها المعنوي لا يزيد وينمو حسب الليالي والأيام كما هو مشاهد لكل ذي بصيرة"،[1] أما في معجم البلدان "لياقوت الحموي" الرومي البغدادي، الذي أوقفنا على اسم (قسنطينة) فعرفها بقوله "قسنطينة بضم أوله وفتح ثانيه ثم نون وكسرة خفيفة فهاء، وتلقب مدينة وقلعة كما يقال عنها قسنطينة الهواء، وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد وهي من حدود افريقية مما يلي المغرب وحولها مزارع كثيرة ...".[2]

ورغم كل هذه التسميات، يرى الدكتور "محمد الصغير غانم" من قسم التاريخ بجامعة قسنطينة أنه من الأفضل تسمية المدينة باسم نوميديا وذلك لأنه الأقدم في تاريخها، في حين يرى أصحاب الفترة المعاصرة والتاريخ المعاصر أنه يجب أن نطلق عليها اسم "البادسية" وذلك نسبة لرائد النهضة الجزائرية الإصلاحية "الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس"،[3] وعند العودة إلى معالم هاته المدينة والتي لا يمكن أن ندرس تاريخها دون المرور بهاته المعالم وذلك بإعتبارها من أكثر المدن الجزائرية التي شهدت تطورا معماريا وعمرانيا هائلا نتيجة اهتمام باياتها وقادتها بالبناء والتشييد فقد ضمت جملة من الأحياء القديمة والحديثة التكوين نذكر منها:

حي القصبة: يقع في الجهة الشمالية الغربية من المدينة، يمرّ به الطريق الرئيسي الرابط بين الباب الجديد وباب القنطرة يضم جملة من الجوامع وهذا الحي له أهمية كبيرة، فقد قامت عليه جملة من المنشآت والسكنات للقادة العسكريين في فترة "صالح باي"، كما يعتبر من أكبر الأحياء وحتى أكبر من قصبة الجزائر بمقدار النصف،[4] إذ كان هذا الحي مسكنا للوجهاء وليس فقط مقرا للجنود والعساكر في العهد العثماني ومن الجاهات نذكر عائلة "ابن حسين" و"عائلة ابن كوجك علي".[5]

حي الطابية: يتواجد في الجهة الجنوبية الغربية ومن الجنوب حي القصبة وشمالا باب الجديد ويتألّف من خمس حومات، وهو صغير المساحة.

---

[1] سعودي يمينة: المرجع السابق، ص14-15.

[2] ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط2، مج4، دار صادر، بيروت، 1995، ص349.

[3] سعودي يمينة: المرجع السابق، ص16-17.

[4] العياشي هواري: المسكن بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني (دراسة تاريخية أثرية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التراث والدراسات الأثرية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011، ص24.

[5] عبد القادر دحدوح: قسنطينة (محطات تاريخية أثرية)، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2015، ص164.

حي القنطرة: يقع في الزاوية الشمالية الشرقية وقد أخذ اسمه نسبة إلى القنطرة وهو ينحصر بين حي القصبة في الشمال الغربي وحي باب الجابية في الجنوب الشرقي،[1] يعبره الطريق الرئيسي الذي يربط باب القنطرة بالأبواب الأخرى ممّا يجعله يكتسب حركة ونشاط دائمين يضمّ عدّة مرافق كالمسجد والزاوية والأسواق...[2]

حي الجابية: من أكبر الأحياء مساحة وكثافة سكانية ويمتد من باب الوادي ثم يسير مع السور ليجتاز باب الجابية إلى سيدي راشد ومنه إلى غاية الشط ثم يدخل إلى مركز المدينة.[3]

ومن الأسواق التي وجدت أيضا بقسنطينة نذكر: سوق الجزارين، سوق الحدادين وسوق الغزل، وقد كانت هذه الأسواق بكلّ حي من أحياء المدينة بالإضافة إلى سوق البرادعيين[4] والرقاقين[5]، القصاعين، التجارين، والصاغة... (ينظر الملحق01)

وفي التعريف أيضا بالمواقع الحضرية نجد مثلا مقعد زواوة وهو يوازي مقعد الحوت، في طرفي رحبة الصوف، وثمة صباط الحناشة وآخر لابن فلوس وهنا قوس الطابية وهناك ساقية الردم... وجلّها مسميات معروفة لدى سكان قسنطينة والباحثين فيها أيضا،[6] ونجد أنّ قسنطينة احتفظت بالمخطط الروماني بالإضافة إلى إدخال بعض التغييرات التي تتطلبها الحياة الإسلاميّة فيها، وكانت من بين أهم المعالم التي تشكل نواة ومركزا حيويّا بها هو السوق والمسجد وقد كانت هاته المراكز منتشرة فيها بشكل كبير وواسع،[7] كما تعد من بين بين الولايات الغنية بالمعالم والمواقع الأثرية كما استمر عمران المدينة في التطور والاتساع خلال العهد العثماني وصارت خلال هذا العهد عاصمة لإقليم الشرق الجزائري وعرفت أزهى أيامها وازدهارها واتساع في عمرانها أكثر من أي وقت مضى، وقد ضمت أربعة أبواب موزّعة كالتالي: (ينظر الملحق01).[8]

الباب الجديد: يتواجد أمام المسرح حاليّا ويطلق عليه أيضا اسم باب الرحبة.

باب القنطرة: وسمي أيضا باب البلاد، هو أقدم الأبواب على الإطلاق يعود تاريخ تأسيسه إلى العهد الفينيقي ثمّ الروماني، يقع بالجهة الشرقيّة ويتجه نحو الجنوب بحافة جبل المنصورة وتنتهي إليه طريق الساحل الشرقية.

---

[1] عبد القادر دحدوح: قسنطينة...، ص168.

[2] العياشي هواري: المرجع السابق، ص25.

[3] عبد القادر دحدوح: قسنطينة ...، ص166.

[4] البرداعين: صانعوا البردعة التي توضع على ظهر الحمير، لحمايتها من من الضرر عند حمل الثقال، ينظر: درقاوي منصور: الموروث الثقافي العثماني بالجزائر مابين القرنين(10_13م/16-19م)، بين التأثير والتأثر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بن بلة، وهران، 2014-2015، ص31.

[5] الرقاقين: صانعوا القرب الخاصة بالشرب والتخزين، ينظر: المرجع نفسه، ص30.

[6] فاطمة الزهراء قشي: معالم قسنطينة وأعلامها، إنسانيات، ع 19-20، 2003، ص7.

[7] كعرار سميرة: المرجع سابق، ص16.

[8] عبد القادر دحدوح: قسنطينة ...، ص151.

باب الجابية: وهو الباب الجنوبي الشرقي يفضي إلى مبنى الخزينة ويربط المدينة بوادي الرمال بينما تفضي باب الجابية إلى الباب الثالثة إلى سوق يحمل اسم الباب (سوق باب الجابية).[1]

باب الوادي: يتوسط الجدار الجنوبي والبابين (باب الرحبة وباب الجابية) والذي أصبح مكانه قصر العدالة حاليا.

كما أن قسنطينة تتوفر على معالم سياحية أخرى جميلة تأتي في مقدمتها الجسور أو القناطر(مفرد قنطرة) وتربط الجسور بين جزأي المدينة الذين يفصل بينهما وادي الرمال العميق،[2] فقد وصفها وتحدّث عنها الأديب الشاعر "جي دوموباسان" وقال في ذلك شيء من الأسف لأنّ المدينة كان بها ثمانية جسور واليوم ستة منها في عداد الأطلال وواحدة من أصل روماني وهذا يعطينا فكرة عمّا حدث للآثار الرومانية،[3] وجاء في ذكر هاته الجسور مايلي:

جسر باب القنطرة: ويعتبر من أقدم الجسور بناه الأتراك عام 1792 والذي تعرّض للترميم في عهد حاكم بايلك الشرق آنذاك "صالح باي" متّبعا نفس النموذج العمراني المتوارث عن الرومان،[4] وقد انهار جسر باب القنطرة سنة 1857 على إثر مرور إحدى وحدات الجيش الفرنسي، وبهذا تغيرت هندسة هذا الجسر على يد الفرنسيين عام1860 و1863.[5]

جسر سيدي راشد: والذي يحمله 27 قوسا، يبلغ قطر أكبرها 70 مترا، ويعتبر أعلى وأضخم جسر حجري،[6] شرع في بناء هذا الجسر سنة 1907 وقد أشرف على هندسته المهندس الفرنسي" أوبان إيرود" بمساعدة المهندس " بول سيجورني" وذلك بعدما تحوّل " إيرود" إلى التدريس بجامعة " أوسفورد" وذلك لقيامه بوضع مخطط الأقواس وأكمل بناء الجسر.[7]

جسر سيدي مسيد: يعتبر أعلى جسور قسنطينة وأهمّها، حيث يبلغ ارتفاعه 175مترا فوق ماء وادي الرمال، أمّا طوله 160 مترا وعرضه يقارب ستة أمتار، وفيما يخص طوله هناك من يقول أنّ طوله وصل إلى

---

[1] علي خلاصي: المرجع السابق، ص322.

[2] عادل بوعكاز: قسنطينة... مدينة جزائرية بحبس جمال جسورها المعلقة الأنفاس، جريدة الشرق الأوسط، ع 11614، 2010، ص5.

[3] بورايو عبد الله: المرجع السابق، ص167.

[4] علي خلاصي: المرجع السابق، ص 328.

[5] عبد الحميد بوفاس: جسور مدينة قسنطينة بين جماليات الأسطورة والحقيقة، تص مع: نجاعي، (د د، د ب، د س)، ص36، 46.

[6] طرشي أحلام صابرينة: صناعة النحاس بقسنطينة، دراسة فنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الحرف والصناعة التقليدية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ص42.

[7] عبد الحميد بوفاس: المرجع السابق، ص77.

168مترا.[1] وقد بناه الفرنسيون عام 1912 ويعرف الجسر محليّا باسم قنطرة سبيطار (المستشفى) لأنّه يقع جنب مستشفى المدينة الجامعي.[2]

جسر ملاح سليمان: وهو مخصص للراجلين فقط وهو يربط بين وسط المدينة و محطة القطار.[3]

جسر مجاز الغنم: وهو جسر صغير أحادي الاتجاه.

جسر الشيطان: جسر صغير يربط بين ضفتي وادي الرمال و يقع في أسفل أخدود الوادي.

جسر الشلالات: المتواجد في أسفل المدينة وتعلو الجسر أحيانا مياه وادي الرمال التي تمر تحته مكوّنة شلالات، وقد بني عام 1928،[4] ومن بين أهم المعالم الأثريّة الأخرى أيضا بقسنطينة نذكر:

قصر أحمد باي: الواقع بجوار جامع سوق الغزل، تحدّه أربعة شوارع تتقدّمه من الجهة الجنوبية ساحة بني الحواس، ليس هناك ما يؤكد تاريخ بناء القصر بشكل دقيق إلاّ أنّ هناك نصوص تاريخية تذكر أنّ أشغال بنائه دامت عشر سنوات بداية من 1826 إلى غاية 1836 على يد البارعين " الحاج الجابري والخطابي" والمهندس الإيطالي "شيانينو"،[5] وهو من القصور التي جمعت الفن الأندلسي والمغاربي والمحلي والإيطالي والتركي، وبهذا وبهذا يكون قد جمع بين مختلف الفنون المعمارية، وهذا واضح على إعجابه بفن عمارة القصور" الحاج أحمد باي" في كلّ من تونس والقاهرة فمنذ تقلده لبايلك الشرق الجزائري حتى بدأ يبرز شخصيته من خلال أعماله، والتعبير عن فن العمارة لديه، فقصر الحاج أحمد باي رمز للسلطة بالرغم من أنّ القصر لم يشيد إلاّ في نهاية العشرينات من القرن التاسع عشر إلاّ أنّه يعتبر أجمل وأوسع قصر في قسنطينة على الإطلاق،[6] ويحوي أربعة أجنحة في مربع مائل تقام فيه المجالس القضائيّة، ويستقبل فيها الأجانب، والغرف الأرضية كلها مغطاة بالأجر الأحمر، جدرانها مدهونة ومغلفة بأنواع حجريّة مطلية بمادة لامعة ويحوي زرابي تركية أيضا.[7]

---

[1] علي خلاص: المرجع السابق، ص327.

[2] عادل بوعكاز: المرجع السابق، ص 6.

[3] رتيبة حمود: المرجع السابق، ص 39.

[4] عادل بوعكاز: المرجع السابق، ص5.

[5] سعد بوفلاقة: قسنطينة في عيون الرحالة والجغرافيين، حوليات جامعة الجزائر1، ج 2، ع 30، 1909، ص34.

[6] علي الخلاصي: المرجع السابق، ص331-332.

[7] فندلين شلوصر: المرجع السابق، ص75، والطاهر رجال: الحاج أحمد باي وقصره، سلسلة الجزائر من الأمس إلى الغد، الجزائر، 2016، ص83، 85.

الفصل الأوّل:

الوضع الثقافي بمدينة قسنطينة

أولا: الوضع الثقافي أواخر العهد العثماني (1771- 1830)

ثانيا: الوضع الثقافي غداة الاحتلال (1837 – 1940)

ثالثا: حركة التعليم بالمدارس القسنطينية

رابعا: الدور التربوي والتعليمي لمساجد قسنطينة

عرفت قسنطينة نهضة ثقافية متميزة وذلك في العهد العثماني أو إبان الاستعمار على حد سواء، فقد شهدت المدينة في القرنين 18 و19 حركة قوية للنشاط العلمي في صفوف العلماء الذين اهتموا بهاته المؤسسات، فانتشرت بذلك المدارس والمكتبات التي كانت تعج بالطالبين للعلم والدين، فازدهر المجال العلمي بالمدينة ولكن بمجرد احتلالها أصيبت الحركة العلمية بشلل، فحاول مدرسوها الحفاظ عليها من أيدي المستعمرين وحاولوا القيام بدورهم التعليمي والتربوي في هاته المؤسسات، وسنرى كيف كانت الثقافة الجزائرية بقسنطينة، وهل حافظت على أصالتها رغم الانتكاسات التي تعرضت لها، ونتعرف على أهم المدارس التي كانت ناشطة في تلك الفترة والدور التي قامت به، والدروس التي ساهمت إلى حد كبير في تحقيق الاندماج بين الفرد ومدرسته واستجابته للدروس الدينية والتعليمية التي ساهمت أيضا في تكوين الفرد الجزائري آنذاك، ونخص بالذكر أيضا دور المؤسسة الدينية (المسجد) في الوقوف على النصوص الدينية، ووعي أهل المدينة بمدى مساهمته في التربية والتعليم وتكوين مجتمع متعلم ومدرك لشريعته.

أوّلا: الوضع الثقافي في قسنطينة أواخر العهد العثماني(1771-1830)

كانت و لازالت قسنطينة عاصمة دينية ثقافية، وقد كان ذلك ظاهرا جليا أواخر العهد العثماني، فكانت مقصدا للعلماء وبيتا للرحالة المكتشفين للعلوم والآثار، ومعقلا للراغبين بذيعان صيتهم في مجال العلم، ففي هذه الفترة التي تحدثنا عنها تمتع العلماء فيها بالسيادة المطلقة والنفوذ التام داخل المدينة، فكان ويقصدها عدد كبير من الطلبة ثم يتفرقون في أنحاء البلاد ينشروا ما أخذوه من العلوم،[1]وهي ذات قيمة عالية من الناحية الثقافية مذ الفتح الإسلامي لها، وكانت مؤسساتها (مساجد، زوايا ومدارس) تلعب الدور العلمي والديني ناهيك أيضا عن الدور الاجتماعي والسياسي، ولها من الولاء الشعبي ما يعادل أو يفوق الولاء لنظام الحكم فهي تعمل على فض النزاعات والحفاظ على التماسك بين أفراد المجتمع ونشر الأمن من خلال دروسها،[2] فقد عاشت الجزائر عامة و قسنطينة خاصة في تلك الفترة وضعا تعليميّا خاصا كان حلقة هامة في التاريخ الثقافي للبلاد والمتميز بطبيعته التواصلية، والذي عني باهتمام واحترام من قبل العثمانيين حيث أولوا عناية خاصة بهذا النشاط التعليمي وذلك كأفراد وليس كدولة وصية.[3]

كما شهدت المدينة تطورا ملحوظا ساهم فيه الأتراك والأهالي على حد سواء، حيث بلغ عدد المساجد في تلك الفترة 5 مساجد كبرى أما الصغيرة فقد بلغت ما يقارب 70 مسجدا منتشرا عبر أحياء المدينة إضافة إلى

---

[1] بن بلة خيرة: المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص 24.

[2] عميراوي حميده: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، (د ب)، 2004، ص137-138.

[3] صليحة بردي: الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني (دراسة في الواقع والمعطيات)، مجلة الذاكرة، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، ع11، جوان 2018، ص29.

هذا 16 زاوية للدراسة و التعليم وإقامة الصلاة وحفظ القرآن وما يزيد عن 90 مدرسة ابتدائية و7 معاهد مخصصة للتعليم الثانوي والعالي موزّعة عبر أنحاء المدينة ناهيك عن انتشار المكتبات و كثرة الكتب التي ساهمت في تكوين المجتمع القسنطيني بكلّ فئاته،[1]وقد التفّ بنو قسنطينة كغيرهم حول حواضرهم العلمية وأصبحت هذه الحواضر تضاهي مدينتي تونس وتلمسان كما أصبحت هذه الحواضر مركز إشعاع حضاري طيلة قرون عديدة من الزمن،[2]وضمت مدينة قسنطينة الكثير من العائلات والأسر العلمية المرموقة في التاريخ و التي شجعت العلم والتعليم و العلماء، والتي لم تقتصر وضيفتها في مناصب عليا تعود عليها بالنفع هي فقط بل فاقت ذلك لتصبح فعالة تنفع المحيطين بها فتقدم بذلك كل ما طاب من علم وتجتهد لتقدم الأفضل دائما في شتى المجالات، فأصبحت بذلك تاريخا بذاته يستند عليه وركيزة لكل باحث في تاريخ قسنطينة.

وفي الحديث عن هاته العائلات نولي بالذكر "أسر ابن باديس[3] والفكون،[4]" إضافة إلى ابن قنفذ،[5] والتي نقلت المعارف و النتاج المعرفي والحركة العلمية من مدينة إلى أخرى، ومن المدينة إلى الريف وذلك بتأسيس زوايا علمية دينية والتي كانت وظيفتها الأساسية هي نشر التعليم.[6]

ونجد أيضا أنه إبان العهد العثماني حمل العلماء على عاتقهم مهمة المراقبة وانتقاد تقاعس الولاة في تنظيم الأوقاف، وهذا ما أورده "أبو القاسم سعد الله" في تاريخه الثقافي أن "الورتلاني" انتقد تدهور حالة المدارس بتدهور الأوقاف مما أدى إلى إندراس العلم، إلى حين مجيء "صالح باي" الذي أعاد ضبطها وتنظيمها وترتيبها في سجلات وقد وزّعت على كلّ من ناظر بيت المال وشيخ البلد، القاضي الحنفي، القاضي المالكي، كما نجد أنه اهتم بالعلماء والقضاة واتخذ منهم مستشارين ودعمهم بالعطايا والهدايا والهبات وهو من غير مبالغة كان من

---

(1) كمال غربي: المرجع السابق، ص72.

(2) سعودي يمينة: المرجع السابق، ص25-26.

(3) أسر ابن باديس: أشتهر هذا البيت بالعدد الكبير فيه من رجال السياسة والعلم، وتحدث عنه "فايسات" وذكر أن هذا البيت من أشهر البيوت في قسنطينة ومن أقدمها، ومن عائلة تقدم الكثير من رجالها في سلك القضاء والوظائف الدينية والسياسية، كما امتازت هاته العائلة بالتقوى والورع في العلم والابتكار فيه. ينظر: محمد بسكر: الإنتاج المعرفي لمدينة قسنطينة مابعد دولة الموحدين (معالمه وأعلامه)، مج1، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، 2015، ص298-299.

(4) الفكون: هي تنتسب إلى بني تميم، وهي من العائلات العريقة، إلا أن هناك من يعتبر نسب هذه العائلة لا شريفا ولا تميميا، أمثال عبد القادر الراشيدي، ويعتبر أصلها من قرية فكونة الموجودة في منطقة الأوراس، وهيمن أقدم العائلات في قسنطينة. ينظر: مصطفى بن حسان: معجم أعلام قسنطينة من صدر الإسلام إلى ما بعد الاستقلال، ج2، مج2، دار الإمام مالك للكتاب، قسنطينة، 2015، ص82-83.

(5) ابن قنفذ: هي عائلة عريقة بقسنطينة، وقد كان لبعض علمائها الدور الكبير في الحياة الفكرية والعلمية المغاربية يقال في نسبهم أنهم بنو قنفذ بن حلاوة بن سبيع بن أشجع، وكان قد اشتهر من هاته العائلة أربعة علماء توارثوا العلم أبا عن جد وهم حسن بن علي بن ميمون بن القنفذ، علي بن حسن بن علي بن علي بن ميمون بن القنفذ، حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون بن القنفذ، أحمد بن حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون أبو العباس الشهير بابن الخطيب، ينظر: عزي بوخالفة: قسنطينة قلعة النور الخالدة، تص مع: سليم نجاعي، (د د)، قسنطينة، 2015، ص140، 142.

(6) كمال خليل: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر، التأسيس والتطور (1850-1951)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008، ص4.

أعظم الولاة العثمانيين الذين مروا بتاريخ الجزائر إهتماما بالعلم والعلماء،[1] ووجّهت في عهده أملاك الأوقاف إلى تسيير المؤسسات الثقافية وساهمت مداخليها بشكل مباشر في تطوير المساجد وسد حاجات الطلاب بدفع أجور القائمين عليها، ومايمكن قوله في هذا الصياغ أن هذا الباي أشتهر كثيرا بخدماته الثقافية والاجتماعية والتي تتمثل أساسا في توفير الظروف الملائمة للمدرسين وطلبة العلم والقائمين بأمور العبادة وهذا ما أدى إلى إنتاج علماني وديني كثيف،[2] وقد كانت أهم المؤسسات بقسنطينة والتي ذكرها " فايسيست " هي المساجد والتي كانت تمثّل المصدر الأولي و الأساسي لاستسقاء علوم الدين والعلوم الفرعية، وقد ضمت الكثير من المساجد كما ذكرنا سابقا وكان في كل مسجد توجد مقاعد مخصصة لتحفيظ القرآن الكريم،[3] كما حضي التعليم بالمدينة بالاهتمام حيث أنّها عرفت إقبالا كبيرا لطلاب العلم من المناطق المجاورة، وهذا ما يؤدي إلى الفراغ الفكري في بعض المناطق مثل جيجل حيث هجر منها الرجال الطامحون في المجالات الأوسع.[4]

والآن سنتطرق إلى الحياة الفكرية الثقافية في مدينة قسنطينة أثناء فترة أخر بايات الجزائر "أحمد باي"،[5] فقد عمل هذا الأخير على الاهتمام بالعلم والعلماء، فكانت صورة قسنطينة في عهده تعكس مدى الاهتمام الواضح الذي أولاه هذا الباي بالتعليم عند الأطفال والشباب لأنّهم مستقبل البلاد والنواة الرئيسة التي تشكل الأرضية لبناء دولة قوية و أمة صالحة قوامها العلم والثقافة، وقد كان عدد التلاميذ المرتفع في المدارس يعكس أيضا قوة الحاكم وفرضه للعلم ودعمه بكل الوسائل المتاحة، ولكن دخول الاستعمار قلّص تلك المدارس. كما ارتكز التعليم عند أحمد باي على الدين الإسلامي، واعتبر أنّ ركيزته تقوم على حفظ القرآن الكريم وفي نفس الوقت تعويد التلميذ في الابتدائي على فصاحة اللسان، فوظيفة المدرسة تقوم على تثقيف الفرد منذ صغره وتربيته على قواعد سلمية لتهيئته ليكون رجل المستقبل، أمّا في مرحلة التعليم الثانوي فكان ينحصر في عدد قليل من الطلبة والأساتذة يعينهم حاكم الإقليم غير أنّ التعيين يكون باقتراح الناظر.

---

[1] عبد القادر المجاوي: الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية، در تح: حسين سعدودي، دار المدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص31.

[2] ناصر الدين سعيدوني: الشرق الجزائري– بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي من خلال وثائق الأرشيف–، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص64.

[3] مؤلف مجهول: أخبار بلد قسنطينة وحكامه، در تح: رياض بولحبال، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات العليا في علم المخطوط العربي، جامعة منتوري قسنطينة، 2009–2010، ص35–36.

[4] محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 48.

[5] أحمد باي: هو حفيد الباي أحمد القلي وابن محمد الشريف شغل منصب الخليفة في بايلك قسنطينة سنة (1208– 1211هـ/1792– 1795م)، ويعتبر آخر البايات في قسنطينة وهو كرغلي أي من أم جزائرية وأب تركي، وتولى عدّة مناصب إدارية حتّى ترقى إلى منصب الخليفة، أدّى فريضة الحج وهو في سن الثنية عشر من عمره و أصبح يلقب بالحاج أحمد، ينظر: طالبي حمزة: الزخارف العمائرية في قصر أحمد باي بمدينة قسنطينة، (دراسة فنية تحليلية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار بالتراث والدراسات الأثرية، جامعة منتوري قسنطينة، 2011–2012، ص107–108.

وكمقارنة بين التعليم الابتدائي والثانوي آنذاك، فالأول يقوم على تعيين أساتذة من طرف أولياء التلاميذ ويتم تسكينهم مجانا في منزل يكون تابعا للحبوس أي الأوقاف، وتوكل للأستاذ أيضا وظيفة في المسجد إلى جانب الإمام ويتلقى سنويا مبلغا معينا من المال حسب دخل كل عائلة وهدايا في المناسبات الدينية ومكافأة الطفل عند حفظ أحزاب من القرآن، ويقدّم لهم مبلغ من المال نتيجة جهودهم (الأساتذة).

وفي التعليم الثانوي يتم تعيين الأساتذة عن طريق الحاج أحمد باي شخصيا ويكون هذا التعيين ذو طابع رسمي عليه (الأستاذ) ما على جميع الموظفين الآخرين من رقابة وقيود وواجبات، ومن امتيازات الأساتذة و أولها هو اعتبار التعليم مهنة شريفة ورسالة نبيلة ومهنتهم تخول لهم الحصول على منصب القاضي أو المفتي، [1] أمّا التعليم العالي يشبه التعليم الثانوي لحد كبير، يعني أيضا من قبل الباي وعليه ما على الموظفين ويكون على درجة كبيرة من العلم والمعرفة و التحصيل العلمي، وينحصر هذا التعليم في خمسة أعوام:

- أولا: المكنون وهو مجموعة معارف واسعة منها دراسة الفلسفة
- ثانيا: الصوغ ومعناه القانون
- ثالثا: التفاسير الخاصة بالقرآن الكريم
- رابعا: الحديث ويتضمن سيرة النبي صلّى الله عليه وسلّم
- خامسا: علم الحساب والتفسير

ويضاف إليها علوم أخرى علم التاريخ والجغرافيا والطب والفيزياء، وفترة التعليم العالي كانت تدوم 7 سنوات، ووصل عدد الطلبة في عهد أحمد باي في مختلف التخصصات في العلوم إلى سبعمائة طالب وخصصت لهم منحة سنويا 18 ريو أي 36 فرنك فرنسي، والذين يتفوقون دراسيا كانت تقدم لهم تشجيعات مادية ولم يقتصر التعليم على قسنطينة فقط بل شمل جل أبناء القبائل وعليه فإن طابع التعليم في عهد الحاج أحمد باي كان ديمقراطيا وقد عاصره العديد من العلماء الذين دفعوا عجلة الثقافة. وكان احتكاك علماء قسنطينة بغيرهم من العلماء من تونس ومصر والحجاز وأكسبهم معارف علمية واسعة في شتى العلوم. [2]

وما نستخلصه أن التعليم حتى 1830 كان متروك للوالدين أو المؤسسات الدينية، ولكن تتكفل به الأوقاف الإسلامية، وكان مجانيا ورغم تدعيم الأتراك للتعليم والتشجيع على البناء والتشييد إلا أنه لم تكن هناك مبادرات شخصية ولكونهم لم يرسموا خطة رسمية للتعليم إلا أنهم لم يمنعوا طلب العلم بل تركوا الحبل حسب ما

[1] بوضرساية بوعزة: الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري، رجل دولة ومقاوم (1830-1848)، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص107.
[2] المرجع نفسه، ص 108.

ذكره "أبو القاسم سعد الله"،[1] وقد تسربت الخرافات إلى عقول المعلمين والمتعلمين وحتى رجال الدولة أنفسهم وكان بعض المدرسين يضلون الناس عوض أن يهدوهم وهذا ما زاد الأمر تعقيدا وبعضهم كان يستخدم الشعوذة لكسب المال والجاه على حساب العلم والتعليم.[2]

وهذه بعض المساوئ التي ظهرت في المجال الثقافي أواخر العهد العثماني رغم جهودهم في تكوين المدينة علميا وثقافيا، فاستغلت بيوتات منها ذلك للنهوض بالعلم والتحضر عن طريق نشر المكتبات وجمع العديد من الكتب عن طريق النسخ والتصنيف أو الإتيان بهما من الخارج (الأندلس، مصر، الحجاز، القسطنطينية...)، وبذلك جاءت قسنطينة في المرتبة الثانية بعد الجزائر العاصمة في هذه الفترة وتبوأت صدارة المدن الجزائرية في امتلاك والحفاظ على الجزء الكبير منها من التلف والضياع.[3]

ثانيا: الوضع التعليمي في قسنطينة غداة الاحتلال الفرنسي(1830-1940)

كان التعليم بمدينة قسنطينة إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر خاضعا للسلطة الفرنسية ولاسيما المساجد هناك من الدرجة الأولى والثانية والثالثة والرابعة وبعض الزوايا، وقد أشارت تقارير اللجنة الدينية للشؤون الإسلامية بالمدينة إلى أنّ التعليم العربي الذي كانت تشرف عليه المساجد والزوايا كان مقسما بين المذهب المالكي والمذهب الحنفي، فالمذهب الأول يدرّس في الجامع الكبير تحت إشراف أساتذة من الدرجة الأولى بينما الأساتذة في الجامع الكتاني ينتمون إلى المذهب الثاني " الحنفي ".[4]

ولكن لا ننسى أنّ الاحتلال الفرنسي للجزائر والحرب التي شنّها في البلاد كانت لها انعكاسات على الحياة الثقافية والتعليمية في الجزائر عموما ومدينة قسنطينة خصوصا، فقاموا بقتل العلماء وتشريدهم مع تهديم المساجد والمدارس،[5] كل هذا فقط للحد من عزيمة العلماء ووضع حد لهم حتى يخلقوا جيلا متخلفا جاهلا أميا، ويذكر أنه ومع سقوط مدينة قسنطينة في أيدي المستعمر المدعي للتحضر والمدنية عام 1837، عمدوا إلى المرافق الدينية والعلمية بالهدم كما قلنا سابقا فضيقوا على العلماء والقضاة وتم إبعاد من لم يرضخ لهم منهم فهجر من هجر ومات من أعيته الحسرة على الحال الذي آلت إليه المدينة وقربت السلطات الاستعمارية إليها البعض من وجدت فيهم المصلحة وأسندت إليهم مناصب التدريس والفتوى والقضاء مكافأة لولائهم لا لعلمهم

---

[1] عبد الرزاق قشوان: السلطة المحلية في بايلك قسنطينة (936-1253هـ/1592-1837م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر2، (1430-1431هـ/2009- 2010م)، ص31.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 32.

[3] عبد اللطيف بن العربي بونشادة: سير أعلام قسنطينة، دار الموعظة للنشر والتوزيع، (د ب، د س)، ص35.

[4] عبد العزيز فيلالي: عبد الحميد بن باديس (مرحلة التحصيل والتكوين)، دار الهدى للطباعة للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (د س)، ص13-14.

[5] المرجع نفسه، ص9.

وكفاءتهم، كل هذا فقط من أجل قطع روافد الثقافة الإسلامية وتحويل التعليم المسجدي عن وجهته الصحيحة والتحكم في المتخرجين بحسب ما تقتضيه الحاجة في تسيير شؤون الأهالي وخدمة سياسة ومصالح المعمرين.[1]

وقد كان هذا الهدم الذي وقع بين سنتي 1837–1847 فبعد هذه الفترة لا توجد وثائق تتحدث عن هدم جرى بعدها، أمّا أوقاف تلك المساجد كلها استولت عليها الإدارة الفرنسية، ومن ثم حدث ما يعرف باضمحلال للمباني الدينية في قسنطينة وغيرها من المدن الأخرى،[2]والمقصود هنا بكلمة اضمحلال ربما محاولة ذوبان هاته المباني ضمن المباني الفرنسية حتى لا يصبح لهذه الأخيرة أي أثر أو وجود فتصبح كلها ضمن إطار ما يسمى بالملكية الفرنسية.

ونعود للحديث عن التعليم بالمدينة فنقول بأنه كان تابعا للمسجد أو الزاوية ولكن عقب الاحتلال الفرنسي و بالتحديد في مدة لا تزيد عن 10 سنوات، ففي 1847 كاد يختفي التعليم نهائيا من المنطقة و لم يبق من تلك الأعداد الكبيرة للتلاميذ سوى 60 تلميذا فقط، كما ذكر ذلك "بيرو" أنّ الفرنسيين أهملوا التعليم لإعطاء رجال الزوايا مكانة وأهميّة على السكان خوفا منهم على وجود الفرنسيين، إضافة إلى أنّ غلاء المعيشة في تلك الآونة اضطرت بالأولياء إلى توجيههم إلى أعمال وأشغال أخرى للعيش بسبب الفقر وابتعدوا عن مقاعد الدراسة وكانت هذه الصورة السوداء التي رسمها الجنرال " بيرو " عن التعليم وحركته في تلك الفترة بقسنطينة.[3]

ونضيف لذلك أنه نتيجة للقرب الجغرافي بين قسنطينة وجامع الزيتونة تأثرت المدينة بالثقافة المشرقية، حيث كان هناك الكثير من رجال الدين المهتمين بالتدريس فيها، وقد التفوا ببلاط الحاج أحمد باي والمدرسة الكتانية حيث وجدوا الكثير من العلوم في مجالات متعدّدة، فارتبطت أسماؤهم ببعض الزوايا والمساجد في مدينة قسنطينة، وكان لهم الحظ الكبير في الانتقاء من منابع علومها والاستفادة مما يدرس في تلك الفترة فانتشرت أسماؤهم وخلدوها في المدينة.[4]

كما يذكر " بودو" القائد الفرنسي في تقرير له بالحكومة الفرنسية وبرلمانها أنّ قسنطينة كانت مدينة للثقافة والعلوم فقد احتوت سنة 1837 الكثير من المدارس خاصة التعليم الابتدائي والثانوي والعالي،[5] وهذا يعني أن المدينة كانت مذ احتلالها عامرة بالعلوم وأهلة بالمدارس. فحاول الفرنسيون خلق مخططات استعمارية وذلك لتوفير البدائل للعلماء، فسارعوا لإنشاء مكتب سموه مكتب الشؤون العربية وتجعله تحت قيادة الضباط

---

[1] المجاوي عبد القادر: الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية، در تح: حسين سعدودي، دار المدى للنشر والتوزيع، الجزائر،2015، ص45.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830- 1954)، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص89– 90.

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830- 1954)، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص26– 27.

[4] أبو القاسم سعدالله: تاريخ...، ج3، ص8.

[5] عبد العزيز فيلالي: عبد الحميد... ، ص10.

والمستشرقين وذلك بغية التقرب من الأهالي خاصة العلماء منهم وإعداد خطط لتتمكن منهم وتعمل على تدجينهم.[1]

وعقب احتلال مدينة قسنطينة كتب أيضا الجنرال " بيرو" تقريرا تكلّم فيه عن حالة التعليم فيها وقام بتقديمه إلى وزير الحرب، وقد تضمن هذا التقرير كيف كان التعليم منتشرا آنذاك بشكل غير متوقع، كما أنها كانت تحوي مدارس لمختلف المستويات الإقليميّة، فمدارسها الثانوية والعالية تضم بين 600 و 700 تلميذا يدرسون علوم (القرآن) وعلوم الحديث، إضافة إلى الحساب والفلك والبلاغة والفلسفة كما أنها احتوت على 35 مسجدا و7مدارس ثانوية،[2] وكما قيل أنّ المدينة كانت محلّ اهتمام الباحثين الفرنسيين مثل: "شربونو"[3] و"مرسيه"، "فير فايسات" الذين تناولوا المؤسسات والبنايات الدينية حيث قدّموا لنا معلومات وأوصاف كثيرة عنها وتفننوا في وصفها،[4] وإلى جانب المساجد التي كانت تمارس وظيفة التعليم إلى جانب الصلوات الخمس، فعند دخول الاحتلال الفرنسي للمدينة كان بها حوالي 79 كتابا ومدرسة قرآنية وكان يتردد عليها حوالي 1350 طفلا وطفلة.[5]

ورغم سياسة الضغط التي اتبعتها الإدارة الاستعمارية على الأهالي في الجانب الثقافي والديني وهذا كان بشهادة أحد البرلمانيين الفرنسيين الذي قال: "لقد جعلنا المجتمع الجزائري المسلم أشد بأسا وأكثر جهلا وأشد همجية بكثير مما كان عليه قبل أن يعرفنا"،[6] وقد ساد الانحطاط الفكري والتدهور الديني بالمدينة وذلك كان نتيجة اشتداد قبضة الاستعمار، ولكن في العقديين الأخيرين من القرن 19 بدأت تتغير الظروف نسبيا وعاد الأهل إلى وسائلهم التقليدية المتمثلة في الدروس بالمساجد والكتاتيب والزوايا لتعليم أصول الدين واللغة العربية،[7] كما تم إنشاء مدارس فرنسية لأبناء المحتلين واليهود وأعوان الاستعمار على وجه الخصوص، وقد استحدثت حلقة كرسي اللغة العربي في المدينة ابتداء من 1848 على غرار حلقة العاصمة والتي بدا العمل بها سنة 1832 على أيدي المستشرقين متخذين من جامع سيدي لخضر مركزا لهم،[8] ولكن رغم حالة القنوط التي

---

[1] عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص3.

[2] عبد العزيز فيلالي: عبد الحميد...، ص11.

[3] شربونو: (1855-1924) ترجم ونشر بالمجلة الاسيوية التي أنشأت عام 1822 عن شعراء العرب وأدبائهم عام 1845 وألف ليلة وليلة في 1852، ينظر: عبد الرؤوف خريوش: دور المسشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب، جامعة القدس، فلسطين، (د س)، ص7-9.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...،ج5، ص79.

[5] يوسف عبد اللاّوي: التعليم الشرعي في الجزائر (واقعه)، مؤتمر دولي بعنوان التعليم الديني في كل من فلسطين والجزائر، يوم 12-05-2017، تركيا، ص5، 8.

[6] عميراوي أحميدة : المرجع السابق، ص37.

[7] عبد العزيز فيلالي، محمد الهادي عروق: مدينة قسنطينة (دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية)، دار البعث للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، (د س)، ص107.

[8] عميراوي أحميدة: المرجع السابق، ص38.

أصابت العلماء واليأس الذي تسرب لنفوس الناس، إلا أن التعليم ورغم بساطته كان يعتبر تعليما مقاوما ذو نفع يقاوم الغزو الثقافي، وقد كانت أيضا تيارات الإصلاح التي عرفتها بلاد المشرق تتوافد وتصل إلى مدينة قسنطينة سواء عن طريق المجلات أو الكتب...، وتأثر أهالي المدينة بتلك الأفكار ونقلها الأساتذة إلى تلامذتهم، وهنا طالبوا فرنسا بفتح مساجد فوافقت على ذلك لكن بوضعها تحت الرقابة المشددة بتعيين لجنة دينية تقوم بتولي العملية التعليمية في المدينة،[1] وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على إصرار وعزم العلماء على تعليم سكان المدينة رغم كل المحاولات التي تتبعها فرنسا في الوصول إلى غايتها من تجنيس وإدماج وذوبان الهوية الجزائرية في الهوية الفرنسية، وخلق جيل دول شخصية وإبعاده عن دينه الإسلامي وضياع هوته، وقد كانت سياسة فرنسا اتجاه هاته المؤسسات الثقافية والدينية بمدينة قسنطينة مخططة كالتالي:

- استبقاء البعض من هاته المؤسسات مع تعيين موظفين لها مقابل رواتب
- بيع البعض منها وذلك بعد نقل رفات الأضرحة منها إلى المقبرة الإسلامية مثل ماحدث لبعض المساجد
- هدم الباقي من المؤسسات وإقامة مشاريع عمرانية حيث قسمت المدينة مذ سنة 1844، فاندثرت بذلك العيد من المؤسسات بفعل عوامل يطول ذكرها وكان على رأسها السياسة الفرنسية التي أقامت مشاريع عمرانية على أنقاضها[2]

إضافة إلى كل هذا لم يتوقف الخراب عند هذا الحد وعند حدود الماديات من تهديم الجوامع والعمران، وإنما شمل محو لكل ما يتصل بالحياة الثقافية والعلمية والقضاء على أي أثر يثبت أن هناك دولة كانت قائمة ولها وجودها التاريخي ودواليبها السياسية والإدارية والاجتماعية والتعليمية، وقد ظهرت أثار هاته السياسة في إتلاف وحرق وتهريب للمخطوطات والوثائق الهامة خاصة تلك المتعلقة بفترة الحكم العثماني.[3]

---

[1] عبد العزيز فيلالي: مجمل تاريخ قسنطينة السياسي العمراني الثقافي والاقتصادي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2017، ص231-232.

[2] عميراوي احميدة: المرجع السابق، ص148-149.

[3] محمد بسكر: الإنتاج المعرفي لمدينة قسنطينة ما بعد دولة الموحدين، معالمه وأعلامه، مج2، دار دادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص64.

ثالثا: حركة التعليم بالمدارس القسنطينية (المدرسة الكتانية ومدرسة الجامع الأخضر نموذجا)

أ- **المدرسة الكتانية:** (ينظر الملحق02) تأسست هذه المدرسة بمدينة قسنطينة على يد صالح باي عام 1189هـ/1775م وجاءت تسمية الكتانية تبركا بالوالي الصالح سيدي عبد الله بن هادي،[1] المعروف بسيدي الكتاني وقد سبقها في التأسيس مسجد سيدي الكتاني وبهذا كانت هاته المدرسة مكملة للمسجد وجعل لها أوقافا كثيرة،[2] فهي واقعة بجواره وحملت اسمه ويتواجد بها قبره "صالح باي" هو وعائلته، وهي حسنة من حسنات "صالح باي" والتي رجحت له كفة حسناته، والتي أعتبرت مصدر من مصادر التنوير وتمجيد للعلماء وعلو شأنهم والذين جعلوا من دمائهم مدادا لكتابة صفحات خالدة من تاريخ قسنطينة العلمي على وجه الخصوص والجزائر من المنظور العام،[3] كما نجد أن هناك تسمية أخرى للمدرسة الكتانية بمسمى المدرسة الصالحية وهذا نسبة لمؤسسها صالح باي الذي كان محبا للعلماء والصالحين وأنفق عليها أموالا.[4]

1- تاريخ التأسيس:

يرجع تأسيسها إلى سنة 1775 كما قلنا سابقا وقد سجل هذا التاريخ في كتابة أثرية تأسيسية ونصها كما يلي:

بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد
طاب الزمان توالى نفعه للمسلمين وزاد في عليانه
ملك يوم الصالحات بعزمه فاختاوا آخره على دنياه
أحلى دروس العلم بعد دروسها وبنى لها دار زكى مبناه
جادت بها نفس المعظم صالح ذاك المجاهد يبتغي مولاه
فالله رزقه السعادة دائما ونبيله يوم القيامة مناه

---

(1) سيدي عبد الله بن الهادي: هو عبد الله بن هادي بن يحي الثالث، شيخ ومصلح، ووصف بالولي الصالح...، ت 490هـ، ودفن بقسنطينة وبني عليه ضريح وجامع ومدرسة تدرس فيها العلوم الشرعية إلى الآن، ينظر: www.fonda tinkettani .org

(2) محمد السعيد قاصري: المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، مجلة عصور جديدة، ع 18، أوت(1436هـ/2015م)، ص156 و Bakiri Rym: imbacide l'intervention coloniale sur la vielle ville de constantine cacdes maisons hybrides, mémoire pour l'obtention du diplôme de magistere option preservation du patrimoine architectural ,universitte montouri, 2011, p 96.

(3) عبد القادر المجاوي: الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية، در تح: حسين سعدودي، دار المدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص43.

(4) أحمد شريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، (1168-1246هـ/1754-1830م)، تق تع: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص65.

قد بين التاريخ في قوله فخر المحامد بالهنا مبناه[1]

هاته المدرسة كان موقعها ملاصقا للجامع (سيدي الكتاني) من الناحية الشرقية وهي تنفتح على شارع بوهالي العيد، ويتوافق التاريخ المكتوب في الكتابة التأسيسية بها مع ماجاء في وثيقة مؤرخة عام 1775 والمدون عليها العلو المذكور وفقه الله ويقصد هنا بالعلو المذكور هو العلو الغربي مثلما جاء في هامش وثيقة أخرى من نفس الدفتر وصار مدرسة للجامع المحبس عليه، بناه مدرسة المحبس المذكور لما له من شروط الإدخال والإخراج، شهد بذلك من علمه وتحققه على الوجه المذكور وذلك أواخر شوال عام تسعين ومائة وألف.[2]

وقد لعبت دورا هاما من طرف مشايخ كبار لكي تكون قاعدة اجتماعية وكذا ثقافية، وذلك بغية السير على برنامج تعليمي وتكويني متطور وحسب نص القانون (المرسوم81-382) المؤرخ في السادس والعشرين من شهر ديسمبر 1981، الذي يقر أن المدرسة هي معلم تاريخي ومن المواقع الأثرية والطبيعية وصانتها ونسقتها المصالح المختصة وهذا ما جاء في البند الخامس من المرسوم 81-382.[3]

2- الدراسات الأثرية للمدرسة:

تشرف المدرسة من الجهة الشرقية على حديقة مستطيلة يحيط بها صور مبني منذ الفترة الاستعمارية وهاته الحديقة مطلة على شارع سوق العصر، ومن الجهة الشمالية فتحدها دار الإمام حاليا أما من الجهة الجنوبية فجامع سيدي الكتاني ومن الغرب فتطل على أحياء سكنية.

كما نجد أن الباب الخارجي للمدرسة مستحدث في العهد الفرنسي وينقسم هذا الباب إلى ثلاثة أقسام وللمدرسة مدخلان:

المدخل الأول: ونجد الباب الرئيسي ينحصر بين دعامتين كبيرتين تستمران حتى الأعلى، وهذه البوابة نصلها عبر الدخول من بوابة حديدية ذات مصراعين تشرف على حديقة مستحدثة في الفترة الاستعمارية وبابها موازي للبوابة الرئيسية.[4]

المدخل الثاني: هو عبارة عن مدخل صغير مقابل للمقبرة مصنوعة من مادة الخشب وتوصل هذه البوابة عبر فناء آخر إلى دار المعلم.

كما تتكون المدرسة الكتانية من طابقين بها مدخل رئيسي واحد يتم الدخول عن طريقه إلى المدرسة كلها ويقع بالجهة الشرقية، ويقابله باب في نفس الاتجاه بينهما سلالم مكونة من أربع درجات.

---

[1] حروش مفيدة: أطلس المعالم الإسلامية بمنطقة قسنطينة (دراسة تاريخية أثرية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التراث والدراسات الأثرية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011، ص88-89.

[2] عبد القادر دحدوح: المعالم ...، ج1، ص103.

[3] زوليخة بومعزة: مدينة قسنيطينة القديمة وإشكالية التراث المعماري، دفاتر إنسانيات، ع 2، 2010، ص126-127.

[4] حروش مفيدة: المرجع السابق، ص89-90.

وتشمل المدرسة على مسجد (أو قاعة للصلاة والدرس) وعلى خمس غرف واحدة منها للأستاذ والأربع الباقية للطلبة وعلى مايضة للوضوء وغرفة المهملات.[1]

والملاحظ أنّ المدرسة كانت متكونة من طابق واحد وما يؤكد ذلك هو لوحة فنية وضعها "sourdeval" عند زيارتها سنة 1857، ويذكر أيضا أنّها متواجدة في نفس الطابق الذي به "مقبرة صالح باي" أي الطابق الأرضي ولكن هناك وقفية تشير إلى أنّها أقيمت في الطابق العلوي، أمّا عن الشيء الذي لاشكّ فيه أنّها كانت من طابق واحد وليس من طابقين وذلك لجملة من الأسباب:

- المرافق التي ضمتها وحسب القانون الذي وضعه "صالح باي" لا تستدع وجود طابق ثاني أو أكثر.[2]
- أنّ ما ذكره "سوردفال" في اللوحة الفنية بشأنه أن يؤكد أنّ المدرسة تحوي على طابق واحد وهو أرضي.
- أنّ مواد وتقنيات البناء التي سقف بها الطابق الأرضي حديثة.[3]

- السقيفة:

عند الدخول من الباب نجد رواق مسستطيل الشكل طوله 11،26م وعرضه 1،85م وفي نهاية طرفيه نجد بابين متقابلين يؤديان إلى غرفتين غرفة في الجهة الشمالية مخصصة للحارس وغرفة في الجهة الجنوبية مخصصة للمخزن، وقد وجد في هذا الرواق كتابة في الجدار الشرقي كان نصها عبارة عن بسملة والصلاة على الرسول وآية قرآنية ونص آخر متمثل في أبيات شعريّة.

- الصحن:

صحنها مربع الشكل (6،80 × 6،24م) يحيط بهر ولق من ثلاث جهات وجهتها الرابعة تدمج مع المقبرة، كما يقوم أعمدة رخامية تعلوها عقود نصف دائرية، وتوجد بها روابط خشبية لتثبيت كل الأعمدة ووظيفتها ربط وتمتين الأعمدة لمنع انفراجها، أرضيته مبلطة بالرخام الأبيض ويتوسط صحن المدرسة حوض رخامي به شجره برتقال.[4]

- قاعة الدرس:

تقع في الجهة الشرقية من الصحن، لها باب عرض فتحته 1،50م وهو مستطيل الشكل مزيّن ببلاطات خزفية مربعة جاءت في ثلاثة تفاصيل وتصاميم، الأوّل تتوسطه دائرة مركزيّة تحيط بها زهرة مفصصة، أمّا التصميم الثاني فهو يتشكّل من الزهرة التي على شكل عفسة الأسد والشكل الثالث عبارة عن دائرة مركبة تنتهي بفصوص، والقاعة كانت ذات شكل مستطيل، طول الضلع الشمالي 5،07م والجنوبي 5،10م والغربي 9،43م

---

[1] نصر سلمان: صفحات من التاريخ السياسي والحضاري لمدينة قسنطينة من العهد النوميدي إلى عصرنا الحاضر، دار الشافعي للنشر والتوزيع ، قسنطينة، 2016، ص252.

[2] عبد القادر دحدوح: المعالم ...، ج1، ص104.

[3] المرجع نفسه، ص105.

[4] حروش مفيدة: المرجع السابق، ص90-91.

والشرقي 8،97م، أمّا الغرف فتتمثل في ثلاث غرف تقع كلّها في الجهة الشمالية من الصحن وذات مقاسات متفاوتة.[1]

3- التغييرات والتجديدات للمدرسة:

لقد تعرّضت لتغييرات جوهريّة فلم تعد تحافظ على أصالتها سوى بعض العناصر المعمارية والقبة الضريحيّة، وأشارت الوقفية على أنّ موقع المدرسة كان عبارة عن حوش لوقوف البغال و به مجموعة من الإصطبلات ثمّ صار علوا ملاصقا لجامع سيدي الكتاني قبل أن يخصّص صالح باي هذا العلو لبناء المدرسة، وعند دخول الاستعمار الفرنسي حوّلت هاته المدرسة إلى مدرسة عربية فرنسية وصارت تحت مسؤوليتهم منذ 30 سبتمبر 1850، وعند زيارة نابليون لقسنطينة في 1861 أدخل بها تعديلات على الواجهة الشرقية، واليوم هي تابعة لمديريّة الشؤون الدينيّة والأوقاف وتستخدم كملحق لدار الإمام لمبيت الضيوف والأئمة.[2]

4- قانونها الأساسي ونظامها الداخلي:

- قيام الأستاذ بإلقاء ثلاثة دروس في اليوم ومراعاة التوقيت فالدرس الأوّل يبدأ من مطلع الشمس إلى الساعة الحادي عشر، أمّا الدرس الثاني فمن الساعة الثانية عشر زوالا إلى العصر، في حين الدرس الثالث فيبدأ من الثالثة والنصف زوالا إلى غروب الشمس.
- قراءة كل يوم أربعة أحزاب من القرآن الكريم، حزبين بعد صلاة الصبح وحزبين بعد صلاة العصر والختم بالدعاء لمؤسسي المدرسة.
- لا يقبل في المدرسة إلاّ الشبان الحافظين للقرآن جيّدا من المذهبين (الحنفي أو المالكي) على حدّ سواء وعلى شرط أن يكونوا متزوجين.
- لا يمكن لأي تلميذ داخلي النوم خارج المدرسة إلاّ لعذر.[3]
- مدّة العطلة عشرين يوما أو ثلاثين يوما وإن لم يلتحق التلميذ في الوقت المحدّد سيطرد ويؤخذ مكانه.
- بعد قضاء التلميذ 10 سنوات في المدرسة دون تقدّم ودون قابلية للتعلّم سيطرد.
- التركيز على التعامل الحسن مع الزملاء، والمثابرة في الدروس.
- لا يسمح بإدخال المواد الغذائية وأدوات الطبخ، وقد قورن هذا النظام مع النظام المعتمد في الثانويات الفرنسية، وعلّق عليه "أوجين فايسات" وقال: (فإذا قارناه بالنظام المتّبع في نفس الوقت داخل ثانوياتنا في فرنسا، فإنّنا نرى أنّه لم يكن أقل منه مستوى) وقد أثارت هذه التنظيمات التربوية إعجاب الفرنسيين وعلى رأسهم "فايسيت" الذي علق عليها قائلا: (إنّها تنمّ عن روح متفتّحة وحقل واع، حتّى أنّها لا تقلّ في شيء عمّا كان

---

[1] عبد القادر دحدوح: معالم...، ج1، ص329، 331.

[2] عبد القادر دحدوح: معالم...،ج1، ص103، 105.

[3] صالح نور: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1792-1873) لأوجين فايست، تق: عبد الرحمان شيبان، دار طليطلة، الجزائر، 2013، ص50.

جار به العمل بمدارس فرنسا آنذاك) وهو ما جاء في ترجمة ناصر الدّين سعيدوني،[1] وكان عدد الطلبة الداخلين ثمانية، ينامون بمعدل اثنين في كل غرفة وهناك وكيل مكلّف بالمصاريف، ويبلغ مرتب الأستاذ في المدرسة حوالي ثلاثين ريالا سنويّا و مرتب الوكيل 8 ريالات وأمّا البواب فيتقاضى 7 ريالات ويمنح لكل طالب مبلغ قدره 6 ريالات.[2]

ونزيد على هذا أن فتح المدرسة الكتانية أثرى المجال الثقافي والتعليمي فخدمت اللغة العربية والثقافة الإسلامية، كما تم فيها توظيف أساتذة كبار من جامعة الزيتونة وتم فيها إرسال الطلبة لمختلف الجامعات الإسلامية كالزيتونة والقرويين والأزهر.[3]

ب-مدرسة الجامع الأخضر:

تقع في الجهة الشرقية من الجامع الأخضر وهي تعلو في جانبها الشمالي ميأضه وفي نصفها الجنوبي الحوانيت، ويرجع بناء هذه المدرسة إلى صالح باي (1185-1207هـ/1771-1792م) المذكور سابقا وكان ذلك سنة (1193هـ/1779م) وكانت تنفتح على الساباط[4] الذي يربط بين نهج سيدي لخضر ونهج بن صغير عبد الوهاب المفتوح على رحبة الصوف التي كانت تدعى ساحة بنيللي.[5]

1- تاريخ تأسيس المدرسة:

تأسست كما قلنا سابقا عام 1779 وهذا التاريخ كان نتيجة الكتابة التأسيسية التي كانت تزين قاعدة الدرس، والتي انمحت ولم يعد لها جود ومن حسن الحظ أن شربونو قيد هذه الكتابة وقال بأنها كانت في شكل شريط طوله 32.72م وعرضه 15سم وحفرت بالجص بخط نسخي مزينة بأشكال هندسية من نجوم وأزهار وبلون أصفر على أرضية زرقاء، وما أكد وجود هذه الكتابة هو عائلة كانت تسكن هناك وقالت أن القاعة فعلا تحوي كتابة ولكنها أزيلت بعد أشغال التجديد وتضمنت هاته الكتابة جملة من النصائح والحكم التي تدعو إلى الإصلاح والصبر والتقوى وتنتهي في الأخير بتاريخ بناء المدرسة.[6]

---

[1] محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص158.

[2] نصر سلمان: المرجع السابق، ص252، و

Ernest Mercier : histoire de constantine, concours de la societe archeologique, constantine,1903, p294.

[3] أحمد بن داود: المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم (1920-1954)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2016-2017، ص20-21، و Ernest Mercier op cite p294

[4] الساباط: هو عبارة عن ممر مغطى بين صفين من المنازل وتكون جدران الطوابق العلوية متلاصقة مكونة عقدا منها. ينظر: الطاهر رجال، سكينة بن صديق: يحكى عن مدينة اسمها قسنطينة، دار الرجاء للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 140.

[5] عبد القادر دحدوح ، قسنطينة ...، ص 400 .

[6] عبد القادر دحدوح: المعالم...،ج1، ص110.

وتتميز مدرسة الجامع الأخضر في كونها تتواجد في الطابق العلوي أما الجهة الأخرى فهي في الطابق السفلي، وقد اعتمد العثمانيين على الطراز المعلق لعمارة المدارس لاستغلال الطابق السفلي في إنشاء حوانيت وبناء مرافقا تابعة للمدرسة ومثال عن ذلك أي عن المدارس المعلقة، المدارس الأربعة بمجمع السلطان سليمان القانوني باستانبول (957-964هـ/1550-1557م) وهو نفس الحال في مصر إبان العصر المملوكي، والمدرسة السليمانية(950هـ/1543م) والمدرسة المحمودية (1164هـ/1750م) وأخذ هذا الطراز واستخدم في مدرسة الجامع الأخضر.[1]

ونزيد عن هذا أن المدرسة أصبحت فرعا للجامع وأخذت بتعيين أساتذة يعينهم رئيس المقاطعة وأما عن أجورهم فكانت تتكلف بها ميزانية الجامع، وكان هؤلاء الأساتذة يعلمون الفقه وتفسير القرآن والتوحيد وعلم الحديث والنحو.[2]

2- الدراسات الأثرية للمدرسة:

- الواجهات والمداخل:

لقد بنيت المدرسة في وسط مجموعة من العمائر التي تحيط بها من ثلاث جهات وهي تأتي في الطابق العلوي فوق ميأضأة الجامع الأخضر، ولا يظهر منها إلا الواجهة الشرقية، التي يتقدمها جدار غير مرتفع، تتقدمه سطيحة من دون سقف وقد فتحت في الجدار، قاعة للدرس ونافذتان مستطيلتا الشكل، وباب هو الأخر مستطيل ويفترض أن تكون النافذة، إلى جانب الباب كانت تشكل تجويفة للمحراب الذي زال أثره، وفوق هذه النوافذ تظهر ثلاثة نوافذ صغيرة وينتهي الجدار بطنف بارز مشكل من قطع الآجر فوقها القرميد.

ويتم الدخول إلى هذه المدرسة من الجهة الجنوبية الشرقية عبر باب خشبي بالطابق الأرضي الذي تعلوه المدرسة ويتقدمه درج صاعد طوله 4.40م وعرضه 1.50م، مشكل من 12 درجة وينتهي بعقد نصف دائري، وهناك مدخل آخر مسدود الآن وهو يقع في الجدار الجنوبي المحيط بالصحن، يحف به إطار حجري من الجانبين، يعلوه تاجان شكلهما مربع متدرج وقد انمحت معالم هذا الباب ولا يزال يظهر منه هذان التاجان ببروزهما عن الجدار والقوس النصف دائري أيضا فوقهما، وقد كان عرض فتحة هذا الباب تقدر بـ1م، وهي مرتبطة بالجامع الأخضر.[3]

- قاعة الدرس:

تقع في الجهة الشرقية من الصحن ولها باب يتوسط ضلعها الغربي وينفتح على الرواق الشرقي من الصحن، وهو مستطيل الشكل ويزينه بلاطات خزفية مربع الشكل(13×13سم) وتتخللها أشكال نباتية مختلفة

---

[1] عبد القادر دحدوح: المعالم الأثرية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة تحليلية، ج2، (د د)، قسنطينة، 2015، ص47-48.

[2] عبد العزيز فيلالي: مجمل...، ص191، 192.

[3] عبد القادر دحدوح: المعالم...، ج1، ص111.

(أوراق–أزهار) والقاعة ذات شكل مستطيل طول ضلعها الشرقي 8.95م والشمالي 5.05م والجنوبي 5.8م والغربي 9.40م وقسمت إلى ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، وكل واحدة من عقدين نصف دائريين ويرتكزان على دعامات تبرز عن الجدارين ،الغربي والشرقي بـ 17سم وقد كان بالمدرسة على حسب شاربونو محراب يقابل المدخل في وسط الجدار القبلي وكانت تجويفته تنتهي بقبيسة في شكل منارة مشعة.[1]

– الصحن:

ينفتح عليه المدخلان، الأول بع اجتياز الدرج والثاني يطل عليه مباشرة والصحن مربع الشكل تقريبا، ويقدر طول الضلع الغربي 2.78م والجنوبي 2.97م والشمالي 3.30م والشرقي 3.35م وهو محقوق برواق من جهاته الأربع ويقوم على أربعة أعمدة رخامية في الأركان وقواعدها دائرية ولكن لم يعد يظهر منها الكثير بسبب التجديدات التي مسته وتعلوها أبدان مثمنة في الأسفل وحلزونية في الأعلى، فوقها تيجان مركبة على شكل سلة تنتهي برؤوس حلزونية في الأركان وفوقها وسائد مربعة تعلوها دعامات مربعة المسقط تنطلق من وسطها روابط خشبية وفوق الدعامات عوارض خشبية يتلوها طنف بارز فوقه القرميد.

الغرف: تضم ثلاث غرف تقع كلها في الجهة الشمالية من الصحن وهي ذات مقاسات متفاوتة:

الغرفة الأولى: تلي قاعة الدرس إلى ناحية الغرب منها ندخل إليها عبر باب فتح في ضلعها الجنوبي عرضه 93سم، وهي مستطيلة الشكل وفتحت نافذة في ضلعها الشمالي تقابل الباب، وقد استحدثت بها مدفأة في وسط الضلع الشرقي وفتح باب في الركن الغربي الجنوبي ولكن تم سده مؤخرا فقط بعد اقتسام المدرسة بين عائلتين[2]

الغرفة الثانية: تقع بجانب الأولى إلى الغرب منها، ويتم الدخول إليها عبر باب فتح في ضلعها الجنوبي المطل على الرواق الغربي من الصحن.[3]

أما الثالثة فتقع في الجهة الشمالية الغربية من المدرسة وفتح باب في ضلعها الجنوبي وهو يطل على الصحن والغرفة مستطيلة الشكل، وتحوي أيضا مطبخ يقع خلف الصحن بجوار الغرفة الثالثة ويأخذ شكل غير منتظم، وتضم مخزنا وميضأة تقع على يسار المطبخ في الجهة الجنوبية ولكن لا تحوي على أحواض كما هو معهود في بيوت الوضوء.

3– التغييرات والتجديدات:

لازالت تحافظ على هندستها المعمارية الأصلية على الرغم من أنها تحولت إلى مسكن عائلي منذ ما يقارب 30 سنة، والتغيرات التي مستها كانت واضحة في قاعة الدرس التي أصبحت غرفة وتهديم المحراب الذي

---

[1] حروش مفيدة: مرجع سابق، ص90، 91.

[2] عبد القادر دحدوح : مدينة...، ص331.

[3] المرجع نفسه، ص332.

كان يتصدر هذه القاعة والكتابة التأسيسية التي كانت تزينها مع فتح الأبواب والنوافذ الحديثة وتجديد السقف الداخلي.[1]

رابعا: الدور التربوي والتعليمي لمساجد قسنطينة

أ- فضل المساجد وعمارتها:

مما يدل على فضل المساجد ومكانتها قوله تعالى: "**ولولا دفع الله للناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا** "سورة الحج، الآية 40، فالجهاد شرع لإعلاء كلمة الله والمساجد هي أفضل البقاع التي ترفع كلمة التوحيد ويؤدي فيها أعظم الفرائض بعد الشهادتين.[2] وقد جاء في النصوص الدينية فضل بناء المساجد وعمارتها كقوله جل وعلى: "**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشى إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**" سورة التوبة، الآية 18، وتكون عمارة المساجد ببنائها وتنظيفها وفرشها وإنارتها كما تكون عمارتها بالصلاة فيها، وكثرة التردد عليها لحضور الجماعات وتعلم تعليم العلوم النافعة وأعظم العلم النافع تعلم القرآن وتعليمه.[3]

وقد تولت عمارة المساجد الجمعيات الدينية وذلك في بنائها وتسييرها وإصلاحها وترميمها، واعتبرت ذلك متروكا لنظام إدارة الخير في الأمة،[4] كما لا ننسى أن فضل عمارة المسجد ترتبط بالدين الحنيف ومدى استجابة الناس له وهو رمز للعبودية لله والاستقامة على شرعه في كل مكان وزمان.[5]

لقد ظلت ولازالت المساجد الإسلامية تؤدي دورها لقرون طويلة حتى وقتنا الراهن ومثال ذلك الجامع الأزهر ومسجد عمر بن العاص بمصر وجامع الزيتونة بتونس والقرويين بالمغرب، وقبل كل ذلك المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي بالمدينة وهناك مساجد كثيرة لا حصر لها في جميع البقاع تؤدي دورها الهام في حياة المسلمين وترعى جميع مصالحهم وتقوم بشؤونهم خير قيام.[6]

---

[1] حروش مفيدة: المرجع السابق، ص100-101.

[2] سعيد بن علي بن وهف القحطاني: المساجد (مفهوم وفضائل وأحكام وحقوق وآداب في ضوء الكتاب والسنة)، مؤسسة الجريسي للتوزيع و الإعلان، (د ب)، (د س)، ص10.

[3] سعيد بن علي بن وهف القحطاني: المساجد (مفهوم وفضائل وأحكام وحقوق وآداب في ضوء الكتاب والسنة)، مؤسسة الجريسي للتوزيع و الإعلان، (د ب)، (د س)، ص19.

[4] مصطفى عماري: العمل الجمعوي ورهاناته في الحقل الديني بالجزائر، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، ص2.

[5] منصور بن عبد العزيز الجديد: المسجد في الإسلام (حدوده وتاريخه، أبرز الضوابط الشرعية المتعلقة بعمارته)، أبحاث ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود الرياض، (1419هـ/1999م)، ص93.

[6] أسامة نور القاسمي: المساجد... دورها في الإسلام ماضيا وحاضرا، مجلة الداعي، ع3، 2013، ص3.

ب- الدور التربوي والتعليمي والاجتماعي للمسجد:

كما نجد أن للمسجد أدوارا سياسية أخرى غير مسؤولية الخطابة والصلوات مثال ذلك تقديم المساعدة الإرشادية والتوجيهية لأبناء المجتمع، التي من شأنها أن تشجعهم على الإحساس بالقضايا الأساسية التي تهم الوطن وتحفزهم لمواصلة التفاعل والاندماج بثقة تامة بين مكونات المجتمع كافة لفرض تحقيق النجاح في العملية السياسية في المجتمع، إضافة إلى غرس روح التعاون والعمل الجماعي المشترك في نفوس المواطنين وتقديم ماهو أفضل لهم عن طريق مؤسسات الدولة كما يشكل عاملا مهما في توحيد المجتمع وتماسكه وتطوره،[1] ومن المفيد بأن تلحق بالمسجد مرافق إسلامية تربوية وثقافية واجتماعية ويلحق به مكتبة عامة وقاعة محاضرات واجتماعيات ومراكز إرشاد ومدراس لتحفيظ القرآن وأمكنه لضيافة الغرباء وإيواء من لا ملجأ له فالمساجد هي منارة للعلم والثقافة وعبادة وإدارة عامة لكل شؤون الحياة وتهيئتها أحسن تهيئة.[2]

كما أن للمساجد أهميته كبرى ومنزلة عظيمة في المجتمع المسلم وقد نوّه الله عزوجل ورسوله بذلك، فالمسجد علاقته بالمجتمع أقوى من أن تقف عند خمس صلوات تؤدي فيه في اليوم والليلة ثم يغلق وتنقطع العلاقة بالمسلمين كلا بل هو مؤسسة لها ذلك السلطان الذي ذكرناه على نفوس الناس والأثر الذي أوضحناه في تهذيبهم وإرشادهم ووعظهم فهناك علاقة تفاعل ثابت ومستمر بين هاته المؤسسة التربوية والمجتمع المسلم.[3]

وقد كانت لازالت المساجد كانت ولازالت مراكز للعلم ومعاهد للدراسة فقد ضمت كفاءة العلماء من ناحية وحرية أهل العلم من ناحية أخرى،[4] وهي تعتبر مراكز اتصال بين أفراد الجماعة الإسلامية ومراكز للدعوة الإسلامية فلا بد أن يعمل المسلمون على إنشاء المساجد في البلاد لتثبيت دعائم الإسلام فيها وتوسيع نطاقه وذلك بتخصيص أكبر من الجهد والمال في الإنفاق على المساجد،[5] كما عملت على معالجة الكثير من القضايا الدينية والاجتماعية سواء من خلال المحاضرات والكلمات الوعظية التي تعقب فروض الصلاة، أو من خلال منبر الجمعة وعالجت أيضا الانحرافات السلوكية وذلك من خلال التربية والدعوة والإرشاد وتوجيه الناس

---

[1] حمدان رمضان محمد: دور المسجد في تحقيق الاندماج السياسي في المجتمع الراقي المعاصر، دراسة تحليلية من منظور اجتماعي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج7، ع 13، (1434هـ/2013م)، ص11-12.

[2] أسامة نور القاسمي: المرجع السابق، ص4.

[3] صالح بن غانم السدلان: الأثر التربوي للمسجد، قسم الدراسات العليا، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (د ب)، (د س)، ص5-6.

[4] حسين مؤنس: المساجد، عالم المعرفة، الكويت، 1981، ص32.

[5] المرجع نفسه، ص37.

وتقوية الوازع الديني لديهم، ومحاربة الأفكار الضالة والتطرق والتمسك بالعقيدة والهوية الوطنية ونشر قيم الاعتدال ومحاربة الجريمة والاعتداء على ممتلكات الآخرين.[1]

كما نذكر في هذا الإطار أن المسلمون في أولى عهودهم حرصوا على أن يكون الجامع أو المسجد هو مركز للمدينة فيكون بذلك قريبا منهم ومحاطة به المدينة في كل أطرافه، وبذلك يسهل على الناس الوصول إليه فكان الحكام المسلمون يسعون لبناء المساجد وذلك كان نابعا من أهمية المسجد فضلا عن كونه مركزا للعبادة والإشعاع العلمي فهو مقر للاجتماع لآداء فريضة صلاة الجمعة مرة في الأسبوع إضافة إلى دوره في تقوية الروابط الاجتماعية التي تجمعهم كما كان مركزا للبحث في القضايا السياسية ومنبرا للإعلان عن مختلف القرارات الصادرة عن الأحكام،[2] ولكن كان الدور الأساسي الذي لعبه المسجد في حياة الأمم والأفراد هو تصحيح العقيدة وتدريس العلوم النافعة والقضاء بين المتخاصمين وإفتاء السائلين، وعلاج مرض المسلمين وتطييب النفوس،[3] وتعدد دوره أيضا فتم اعتباره مدرسة جامعة تعاملية، ومقر قيادة واتخاذ القرارات ومجلس للشورى، كما له دورا اجتماعي باعتباره ملتقى جميع المسلمين إضافة إلى دعوته للإصلاح والتربية والوقار والسكينة وتعويد المصلي على ترك الباطل والتعليم والتثقيف وغرس مبادئ المساواة والمواطنة فكان سلاحا ثقافيا روحيا علميا.[4]

وكما هو معروف أن المسجد كان يمثل الجامعة تضم كل التخصصات التي يحتاجها المجتمع حيث يقوم بأدوار متعددة (تربوية واجتماعية ، صحية وعسكرية وإعلامية وقضائية وغيرها)، ويحرص أيضا على غرس قيم المواطنة داخل المجتمع الواحد فهو يربي ويحرص على الالتزام بالواجبات قبل التمتع بالحقوق حيث أنه لو قام كل واحد بواجباته لتوطدت الحقوق من تلقاء نفسها فكانت بهذا المساجد معاهد للعلم والرعاية بكل أصنافها.

ج- نشأة المساجد بقسنطينة:

وبعد حديثنا عن فضل المساجد وفضل عمارتها ودورها نعي بالقول مساجد قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري التي لعبت الدور الهام والأساسي في الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية، ونشأة المساجد بهاته المدينة لم يكن من اليوم أو البارح فقد كان ذلك منذ قيامها وهذا ما تحدثنا عنه سابقا ولكن بدأت تبرز أهميتها في فترة الاحتلال

---

[1] جمعان بن حمود العصيمي: دور المسجد في الوقاية من التطرف، أعمال ملتقى علمي حول دور الأسرة في الوقاية من التطرف، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، يوم 17، 18-1-1438هـ، السعودية، ص8.

[2] عبد القادر دحدوح: تاريخ ...، ص423-424.

[3] نصر سلمان: المرجع السابق، ص207.

[4] مسلم سالم الوهيبي: الدور التربوي للمسجد في غرس قيم المواطنة، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مج35، ع1، جامعة قطر، (1438هـ/2017م)، ص343، 351.

الفرنسي للمدينة وروعة عمارتها عكست فن تصميمها وبناءها فكما ذكرها ووصفها الورتلاني " مساجد قسنطينة، إن بعضها متقن إتقان مسجد الباشا بطرابلس حقا كأن بانيها واحد "، كما وصفها بالدقة عكس مساجد الأهالي المتواضعة،[1] وفي رسالة حدثنا عنها العلامة عبد الحميد بن باديس عن المسجد في مجال التعليم قائلا: إن المساجد والتعليم صوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام فما بن النبي صلى الله عليه وسلم يوم استقر في دار الإسلام بيته حتى بنى المسجد، ولما بنى المسجد كان يقيم الصلاة فيه ويجلس لتعليم أصحابه فارتبط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد دون تعليم وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة،[2] وفي حديثنا عن مساجد قسنطينة وبداية عهدها نقول أن ظهورها بالمدينة بدأ منذ استقرار الإسلام بها ويرجع ذلك إلى أيام الفتح الأولى وتقريبا في أوائل النصف الثاني من القرن الأول هجري وهذا بالتقريب وذلك لعدم ذكر المؤرخين لتاريخ وصول الإسلام إلى قسنطينة،[3] ومن المعروف والمتفق عليه أن أغلب المساجد في الأزمنة الغابرة كانت بسيطة البنيان بالمدينة عكس ما نراه اليوم من فخامة وضخامة ومتانة في البنيان وبدائع بالنقوش والزخارف الفنية. وما نلاحظه هو أن هذا التعظيم في مساجد قسنطينة والذي شهدنا بها ما هو إلا إعلاء من الأمراء المتأخرين لشأن الدين وبيوت الله.[4]

من خلال ما تمّ التطرّق إليه في هذا الفصل نستنتج أنّ قسنطينة قد عاشت فترة ازدهار وتطوّر على المستوى الثقافي إبّان التواجد العثماني فيها، فقد اهتمّ حكّامها آنذاك بالتربية والتعليم فانشئوا مساجد ومدارس كانت اللبنة الأولى التي جعلتها فيما بعد تتربّع على عرش المدن الجزائرية علما وثقافة، ولكن فيما بعد أصيبت بالجمود والركود وذلك إبّان الاستعمار الذي حاول تهميش سكانها ونفي علمائها، لكن ورغم ذلك ظلّت محافظة على بقائها رافعة شعلة العلم من خلال تجسيد ذلك في عمل مدارسها ودور مساجدها.

---

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر...، ج1، ص254.

[2] مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1997، ص162.

[3] محمد المهدي بن شعيب علي: أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، ص230.

[4] كمال غربي: المرجع السابق، ص 92.

الفصل الثاني:

نماذج عن مساجد قسنطينة

أوّلا: الجامع الكبير

ثانيا: جامع سوق الغزل

ثالثا: الجامع الأخضر

رابعا: الجامع الكتاني

خامسا: باقي مساجد قسنطينة

كانت قسنطينة كغيرها من المدن الإسلامية تضم جملة من المؤسسات الدينية (المساجد)، التي لعبت دورا كبيرا في الحفاظ على الشخصية ونعي الهوية الجزائرية، فهي بفضل تأسيسها استطاعت أن تعلّم المجتمع وتثقفه وتحارب الأميّة، وبذلك أصبحت هاته المدينة إشعاعا علميا بفضل هاته المراكز والمؤسسات الدينية العلمية، و قد شهدت خلال العهد العثماني بناء العديد من المساجد فقد كانت تضم حوالي 95 مسجدا كما ذكرنا سابقا، لكن لم تسلم الكثير منها فتعرّضت للتخريب من قبل قوات الاحتلال الفرنسي فسلمت القلة القليلة منها فقط، التي بقيت محافظة على جزء من أصالتها المعمارية والفنية، وأبرز المساجد التي سنخصها بالدراسة هي: الجامع الكبير (530هـ/1136م)، جامع سوق الغزل(1143هـ/1730م)، والجامع الأخضر(1157هـ/1743م)، وجامع سيدي الكتاني (1190هـ/1776م)، هي مساجد مثلت الهوية الجزائرية حاولت الحفاظ عليها وعلى استمراريتها ومراعاة مقوماتها (الدين الإسلامي– اللغة العربية – التاريخ الجزائري) وتخريج جملة من العلماء في مختلف الميادين وسنقدّم في هاته الدراسة تفصيلا لهاته المساجد.

أوّلا: الجامع الكبير

أ– موقع الجامع وتاريخ تأسيسه: (ينظر الملحق03)

الجامع الكبير القسنطيني يعد فعلا متحفا حقيقيا بمدينة قسنطينة من حيث الموقع والعمران ومواد البناء المشكلة به فهذا الأخير بمدينة الشرق الجزائري،[1] الواقع بين الساحة المسماة بالبطحاء وسوق الجلود،[2] كان في خدمة آل الفكون لمدّة قرون وهذا ما وجد في مؤلفاتهم، كما كان مقرّا لشيخ الإسلام، في شارع العربي بن مهيدي، وهو جامع قديم إضافة إلى أنّه الوحيد الذي ربّما يعود فترة قبل الفترة العثمانية،[3] ويعتبر هذا الجامع أهمّ شاهد من شواهد الإسلام في مدينة الصخر العتيق ومعلما يبرز تراث الأسلاف في عهود مضت،[4] ويعود بناؤه إلى القرن الثالث عشر خلال العهد الحفصي،[5] ويقال في الكتب التاريخية وعند بعض المهتمين من العلماء والمؤرخين بالمعالم الدينية أنّ هذا المعلم من تشييد "محمد بوعلي البغدادي" عام 530هـ/1136م، وهذا وفق عبارة وجدت منحوتة باللغة العربية عثر عليها حول المحراب وجاء فيها: "هذا من عمل محمد بوعلي

---

(1) رشيد بورويبة: قسنطينة، المرجع السابق، ص70.

(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج5، ص81.

(3) Meriem Redjem: .. le role de la mosquee en algerie dans la configuration de la ville a l'epoque coloniale française, deparant d'architecture, universite badji mokhtar bp12, 23000, annaba, algerie, p5.

(4) العربي، س: الجامع الكبير معلم لثراء التراث المشيد بقسنطينة، 2018/03/17، elmassar.ar.com، (د ص).

(5) فاطمة الزهراء قشي: معالم...، ص7.

البغدادي"، واعتبر من أهمّ المنجزات القديمة التي تحتل مكانة وأهميّة رغم المنجزات الحضارية الأخرى التي شهدتها المدينة.[1]

في حين يذكر "جورج مارسي" في كتابه " تاريخ الفن المعماري الإسلامي" أنّ تاريخ الجامع الكبير مجهول، وإنّ هذا المسجد كان موجودا في القرن السادس الهجري، وذلك حسبما دلّت عليه كتابة عربية أخرى عثر عليها أثناء عمليات الهدم الذي أحدثته السلطة الفرنسية، وهذه الكتابة وجدت بالجانب الغربي منه وكانت منقوشة على الشاهد الرخامي القائم على رأس قبر المرحوم "محمد بن إبراهيم المراكشي" المتوفى بقسنطينة والمدفون بتربة الجامع عام (618هـ/1222م).[2]

وقد تم وصفه من قبل "شربونو" بأنّه يشكّل في الحي شبه جزيرة، وقد قيل أنّه مبني على معبد وثني، في حين نجد أنّ الحفريات والدراسات السابقة لم تثبت ذلك، كما نجد أيضا أنّ هناك كتابة نقشت على سارية محرابه تقرّ بأنّ الجامع قد بني بعد القرن السادس هجري أي سنة 603هـ وهذا ما وجد في بعض الروايات ونحن لا ندري ما هو الصحيح منها، والملاحظ أنّ هذا الجامع لم يرد ذكره في قائمة الجوامع التي ذكرها "ميرسيه"،[3] وهذا الأخير يؤرخ تاريخه إلى سنة (633هـ/1236م)، أمّا "شربونو" فيرجع تاريخ بنائه إلى نهاية القرن السابع هجري والثالث عشر ميلادي مستندا في ذلك على كتابة شاهديه عثر عليها في الجامع تحمل تاريخ (618هـ/1221م)، في حين استعان "بورويبة" بالكتابة التي تزين جوفة المحراب، والتي تدلي بعمل "محمد بوعلي البغدادي" إضافة إلى ذكر سنة ثلاثين وخمسمائة، فاعتمد على هذه الكتابة لتأريخ الجامع،[4] وقد كان نص الكتابة كما يلي:

"بسم الله الرحمان الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله تسليما هذا عمل محمد بوعلي البغدادي سنة ثلاثين وخمسمئة "، ومن خصائص هذه الكتابة أنّها خطت بالنمط الكوفي ولا تحمل نقطا وقد عمل الفراغ فيها بأنواع من زهور ذات أربع ورقات، فمن خلال الكتابة التاريخية التي تعرّض لها "بورويبة" يرجح أن يكون الجامع قد تأسّس سنة (530هـ/1134م)، بينما الاحتمال السائد اليوم بعد القرن الثالث عشر.[5]

ويعد الشخص المشار إليه في الكتابة هو محمد بن بوعلي الثعالبي، ويحتمل أن يكون ابن سيدي بوعلي من أتباع عبد القادر الجيلاني ومؤسس للطريقة البوعلية، أو هو أحد أسلاف بوعلي بمدينة الأصنام التي جاءها

---

(1) وردة نوري: الجامع الكبير بقسنطينة تحفة تستقبل المصلين منذ 8 قرون، الفجر، 2011/08/06، w.w.w.djazairess.com، (د ص).

(2) شعيب محمد المهدي بن علي: المرجع السابق، ص232-233.

(3) أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج5، ص81-82.

(4) عبد القدر دحدوح: قسنطينة...، ص352.

(5) رشيد بورويبة: الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر: إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص71.

من الساقية الحمراء واستقر في الظهراء، أو احتمال أن يكون من أقارب سيدي عبد الرحمن الثعالبي من مدينة الجزائر.[1]

ويتبيّن لنا من خلال عرض هذه الكتابة التاريخية للجامع أنّ الأستاذ "بورويبة" يميل إلى أنّ الجامع قد تأسّس وبني من قبل الحماديين، لكن وبالرجوع إلى مؤرخين آخرين تبيّن أنّ هناك من يطرح فكرة أنّ الجامع شيّد قبل هذه الفترة بكثير، وذلك لأنّ الكتابة التي اعتمدها "بورويبة" لا تحمل تاريخ البناء بشكل صريح فقد تعود فقط لبعض الأعمال والأشغال التي تعرّض لها، وأيضا نجد أنّ الجامع قد يحوي أكثر من تاريخ وتكون في أماكن مختلفة، فضلا على أنّ التخطيط المعماري للمسجد القائم على نظام البلاطات المتقاطعة كان معروفا في بلاد المغرب قبل العهد الحمادي ومن أمثلة ذلك جامع سوسة (236هـ/815م) بتونس.[2]

ب- الدراسات الأثرية للجامع:

يشكل الجامع الكبير متحفا حقيقيا للأعمدة إذ توجد به أعمدة أسطوانية يتراوح قطرها بين 30 و60 سم، وأعمدة ذات أشكال منتفخة وأخرى ملساء،[3] وعند الرجوع إلى مداخل الجامع نجدها أربعة، فالأوّل نجده في بيت الصلاة ويتوسط البلاطة السادسة للجدار الشمالي الشرقي ويبلغ عرضه 1,6م وارتفاعه 2,4م، كما يحوي على مصراعين: المصراع الأوّل الأيسر عرضه 7,5 سم والثاني الأيمن 73سم، وتتقدّمه من الخارج 6 درجات.

أمّا المدخل الثاني للجامع فهو يتواجد حاليا في بيت الصلاة الملحقة "الصحن سابقا"، كما يتوسط الجدار الشمالي الشرقي ويبلغ ارتفاعه 2,69 سم وعرضه 1,75 سم، إضافة إلى أنّه يحوي مصراعين الأيمن 66 سم والأيسر 68 سم وهو مقسّم إلى جزأين علوي وسفلي، فالأوّل يبلغ عرضه 72 سم والمصراع الأيمن عرضه 72 سم أمّا ارتفاعه 2,66 سم،[4] وفيما يتعلّق بالمدخل الرابع فهو يعدّ المدخل الرئيسي ومن المعروف أن يكون أكبر من باقي المداخل، عرضه 2,12م وارتفاعه 3,12م، المقسّم بدوره إلى جزأين (علوي وسفلي)، وقد تعرّض هذا المدخل إلى التجديد في العهد الفرنسي بعد استحداث الطريق الجديدة،[5] في حين أن المدخل الثالث لم يذكر ولم يوصف في الكتابات، ويشكّل أيضا متحفا من الأعمدة كما ذكرنا سابقا والتي أخذت من معبد فينوس.

كما يجدر بنا الإشارة إلى أن هذا الجامع يحمل أقواسا مختلفة الشكل حيث نجد البعض منها الحدوية والأخرى مكسورة وأقواسا إيرانية،[6] وهذا الجامع قد طغى على قسنطينة بصبغة ثقافية ودينية منذ القدم، فرغم التغيير في هندسته الخارجية من جرّاء الترميم، إلا أنه كان ذو أهمية كبرى بالمدينة، وكان أهم شيء يميّز هذا الجامع هو الكتابات التاريخية على جدرانه.[7]

---

[1] رشيد بورويبة: قسنطينة، المرجع السابق ص72.

[2] عبد القادر دحدوح: قسنطينة...، ص353.

[3] ز الزبير: مساجد قسنطينة العتيقة معالم ألبست سيرتا ثوب الأصالة الاسلامية، 29-05-2009، المساء، w.w.w.djazairess.com /، (د ص).

[4] رشيد بورويبة: قسنطينة، ط2، سلسلة الفن والثقافة وزارة الاعلام والثقافة، الجزائر، 2013، ص69-70.

[5] حروش مفيدة: المرجع السابق، ص52.

[6] رشيد بورويبة: قسنطينة، المرجع السابق، ص70.

[7] طرشي أحلام صبرينة: المرجع السابق، ص37.

ونجد أن الجامع يتكوّن من ست بلاطات موزّعة على ثمانية أساكيب تتساوى في الاتّساع،[1] أمّا عند الرجوع إلى شكل بيت الصلاة فيكاد يكون مضلّعا غير منتظم أو مربّعا حيث يبلغ طول الجدار الجنوبي الشرقي بـ: 22,30م والجنوبي الغربي بـ: 22,30م، والشمالي الشرقي بـ: 22,20م، أمّا الشمالي الغربي فهو أصغر طولا حيث قدّر طوله بـ: 20,60م، أمّا عند الدخول إلى بيت الصلاة فمن الجهة الشمالية عبر أربعة أبواب.[2]

ونزيد عن هذا أنّ الأقواس الأربعة الموازية لجدار القبلة زيّنت بشريطين كتابيين جاء نصّها كالتالي:

- الشريط الأوّل: بسم الله الرحمان الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما هذا ما أمر بعمله (...) "إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السماوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربّنا إنّنا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أنّ آمنوا بربّكم فاغفر ذنوبنا وكفّر عنّا سيّئاتنا وتوفّنا مع الأبرار" سورة آل عمران، الآية 190-191-193.
- الشريط الثاني: "الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات والأرض من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم، لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيب فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم" سورة البقرة، الآية 155-156، " شهد الله أن لا إله إلاّ هو والملائكة وألوا العلم" سورة آل عمران، الآية 18.

أمّا الركن الشمالي الغربي فتشغله حاليا حزابة محاطة بسياج من الخشب وهي ترتفع عن مستوى أرضية بيت الصلاة بحوالي 0,65م وطولها يبلغ 5,05م أمّا عرضها 3،10م، وكانت وظيفتها دراسة الحزب الراتب أي قراءة الأحزاب.[3]

وقد كان المحراب[4] في الجامع الكبير لا يتوسط تماما جدار القبلة فهو قريب إلى الجدار الشرقي أكثر من الغربي حيث يبعد عنه بحوالي 6,30 م، ونجد أنّ هناك عمودان إسلاميان يرتكز عليهما قوس المحراب، أمّا التيجان فهناك تاجين يعلوان عمودا المحراب[5] وتشبه زخارف هذان التيجان زخارف تاج عثر عليه بجامع قلعة بني حمّاد، وهذا ممّا يؤكّد مرّة أخرى أصل المحراب الحمادي،[6] في حين آخر نجد أنّ التيجان الموجودة في

---

[1] عبد الكريم عزوق: تطور المآذن في الجزائر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006، ص42.

[2] حروش مفيدة: المرجع السابق، ص52.

[3] المرجع نفسه، ص53.

[4] المحراب:هو عنصر معماري، يوجد في المساجد والجوامع والزوايا والمدارس وهو التجويف أو الحنية الموجودة في حائط القبلة، وقيل أيضا أنه الغرفة، أول الموضع العالي وصدر البيت، أعلى مكان في المسجد وأطلق عليه أيضا القبلة، ولا يتسع المحراب إلا لشخص واحد وهو الإمام، وقد ذكر المحراب في أكثر من موقع في القرآن الكريم، ينظر: امتثال كاظم النقيب: المحاريب العراقية ، تاريخها، أنواعها في العصر العباسي، مجلة التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ع3، 2017، ص269.

[5] حروش مفيدة: المرجع السابق، ص57.

[6] رشيدة بورويبة: قسنطينة، المرجع السابق، ص57.

الجامع ترجع إلى العصر الروماني، وله تاجين كما ذكرنا سابقا حلزونيتين جانبيتين في سلة زاوية منفرجة وهي عبارة عن حرف (V).[1]

أمّا فيما يخص العقود[2] فهي عقود منكسرة متجاوزة، وما يميز الجامع الكبير هو احتفاظه بمنبره المصوغ من الخشب الواقع على يمين المحراب متكوّن من 7 درجات، له باب مزيّن بقوس منكسرة مزخرفة على الجانبين بزخارف نباتية عبارة عن سيقان ويعلوها إطار خالي من الزخرفة والذي بدوره تعلوه قطعة خشبية مسنّنة على يعلوها هلال والذي يعتبر رمزا للدولة العثمانية،[3] وعندما نأتي إلى المئذنة[4] فهي واقعة في الجدار الشمالي للجامع شأنها شأن تلك الموجودة بجامع القلعة وتتكوّن من قاعدة مستديرة ويعلوها بدن المئذنة وهو مربّع الشكل ومتكوّن من طابقين، الطابق الأوّل مربّع أيضا وأكثر طولا وتنفتح في واجهاته نوافذ ضيقة الفتحات مستطيلة الشكل وتتوزّع نافذة في كل واجهة وذلك لإدخال الضوء والتهوية،[5] أمّا الطابق الثاني فتتراجع جدرانه إلى الداخل قليلا عكس الطابق الأوّل وهو أقلّ طولا منه، وينفتح في كلّ وجهة من أوجهه صفان من النوافذ بكلّ صفّ نافذتان وتتألّف كل نافذة من مستطيل ضيق يعلوه ما يشبه العقد.[6]

ج- التغييرات التي شهدها الجامع الكبير:

لقد جدّد الفرنسيون المنارة والميضأة الخاصة بالجامع بتمامها، وأحدثوا في مقدّمته من جهة باب المدخل الكبير المؤدّي إلى شارع بن مهيدي، إذ طرأت عليها تجديدات عام(1371هـ/1951م)، فوقف على إصلاحات ظاهرية وذلك في سقفه وأبوابه وجدرانه، حيث دهن من الداخل والخارج، وما حدث له بعد الاستقلال، كان تغطية لفنائه فأصبح مسقفا وأضيف إلى بيت الصلاة وعند زيادة عدد سكان المدينة ضاق المسجد بالمصلين فأضافوا بذلك الفناء المذكور لبيت الصلاة ليكون المصلون في مأمن من حر وصر.[7]

---

(1) Bourouiba Rachida:..apport de l'Algérie à l'architecte rélig ieuse, unité de reghaia, 1987,p103.

(2) العقود: هي نقطة البداية في عمل القبة، وأصل العقد أسيوي، وعند مجيء المسلمين، ساروا بالعقد مدى أبعد وأكثر تنوعا، وهو يرتكز على قطع من الحجارة مهيأة على شكل أوتاد تزداد تماسكا كلما وقع ضغط على أعلاها، ينظر: حسين مؤنس: المرجع السابق، ص121.

(3) حروش مفيدة: المرجع السابق، ص57-58.

(4) المئذنة: ذهب العلماء في أصل المأذن من الوجهة العمارية مذاهب شتى فقيل أنها مشتقة من أبراج الكنائس، أو من أبراج الحراسة والمراقبة، ينظر: زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الفكر العربي، (د د، د س)، ص144.

(5) رشيدة بورويبة: قسنطينة، المرجع السابق، ص61.

(6) عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص43.

(7) نصر سلمان: المرجع السابق، ص216.

ثانيا: جامع سوق الغزل:

أ- **موقع الجامع وتاريخ تأسيسه:**

يقع جامع سوق الغزل أو كما يعرف جامع حسن باي شرق قصر أحمد باي (المذكور سابقا) إلى الغرب من شارع ديدوش مراد الذي يعرف في زمن الاستعمار بشارع كرمان أمّا حاليا فيعرف عند العامة بـ: Rue de France [1]، وهو يطل على ساحة شوشان عبد الباقي من الناحية الشمالية ومن الغرب على نهج "بودشيش بلقاسم" وتبلغ مساحته حوالي 612 متر مربع.[2]

وقد كانت الكتابة المخلدة لهذا الجامع محفوظة ومتواجدة حاليا بقصر أحمد باي بمدينة قسنطينة وهي منقوشة على لوحة رخامية يبلغ طولها حوالي 1،25م وعرضها 0،62م، وهي تحوي سبعة سطور والستة الأخيرة منها على وزن البحر الكامل وكانت منقسمة على جزئين مندرجة في أطر والسطور مفصولة بواسطة أشرطة تماثل الأعمدة والسطور كانت مزينة بزخرفة نباتية منظمة،[3] وقد جاء في نص هاته الكتابة مايلي:

سطر1: بسم الله الرحيم صلّى الله على سيدنا محمد

سطر2: في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها

اسمه يسبح له فيها بالغد والأصال

سطر3: غرف المحامد أم قصور تعبد أم جنة الرضوان للمجتهد

أم جامع جمع المحاسن فانثنت في جيد مشيه أعز مقلد

سطر4: بيت يقام بها عماد الدين في ظل امتثال الإله الأوحد

كالشمس ألا إنّ تلك إلى الأفول وهذه في البردات تخلد

سطر5: وسعت بما وسعت يدا حسين ضاحكة بما للراكبين السجد

يرجوبها من يسيل الستر المذال على العصاة إذا أتوه في غد

سطر6: ياخير من يرجى لكل موصل نوله في الدارين أسعد مقصد

ولئن تسل تاريخه فاتي به باي الزمان حسين بن محمد سنة 1143

وحسب الكتابة التأسيسية نستنتج أنّها تعطينا التاريخ لبناء الجامع مع ترجيح للطريقة المغربية في العملية الحسابية.[4]

---

[1] كمال غربي: المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2013، ص122.

[2] نصر سلمان: المرجع السابق، ص230.

[3] خيرة بن بلة نايم: المساجد الجامعة بالجزائر في العهد العثماني، وزارة الثقافة، الجزائر، 2015، ص85.

[4] رشيد بورويبة: قسنطينة، ص114.

أمّ عن حروف هاته الكتابة فيفيدنا بورويبة بأنّها كتبت بخط أندلسي، وهذا ما يؤكد أنّها بخط أنيق حفرت وملئت بالرصاص أو بالإسمنت الصلب إلى الغاية وهذا جدير بالملاحظة لأنّنا نعثر لأول مرة على هذا النوع من الكتابة في الجزائر.[1]

وقد عرف الجامع أسماء عدّة ومختلفة وكان أهمّها جامع سوق الغزل وذلك نسبة لسوق الغزل الذي كان متواجد بالغرب منه والذي كان يباع فيه صوف الغزل،[2] أما اليوم فيعرف باسم جامع "حسن باي" وذلك نسبة لمؤسسه الباي حسن بوكمية الذي يعرف أيضا باسم " قليان"، وهذه التسمية قليلة في المراجع والمصادر وذلك لأنّ الكتابة التأسيسية تؤكد أنّ "بوكمية حسين" ولا توجد وثيقة تعود إلى العهد العثماني وردت فيها هذه التسمية.

وعند الرجوع الى مؤسس جامع سوق الغزل فنجد أنه يرجع في تأسيسه إلى الباي "حسن بوكمية" والذي تولى حكم مدينة قسنطينة (1125-1149هـ/1713- 1736م)، وهو رجل ذو شجاعة ونشاط كبير وقد عرفت المدينة استقرار كبير في عهده، وكان له الدور الكبير في بسط النفوذ الجزائري على تونس سنة (1148هـ/1735م)، كما عمّر هذا الباي في الحكم 23 سنة إلى غاية وفاته سنة (1149هـ/1736م)، وقيل أنّه بعد أن طالت ولايته طلب الإذن ليمشي إلى الباشا في الجزائر في موكب عظيم، فأقام في ضيافة الباشا ثمانية أيامّ في استراحة حتّى خروج إذن الباشا بعدها بتسريح الباي بوكمية، فرجع حينها إلى قسنطينة وإثر وصوله إلى هناك زمانا هنيّا حتّى وافته المنية بعد مدّة من الزمن وذلك عن عمر يناهز 70 سنة، ويذكر أنّ هذا الباي حارب ثلاث خصوم في عهده وهم: "الشيخ العربي، أبا عزيزه، والأميرة أم هاني"، وذلك ماجاء في رواية بيونال فساهم مساهمة فعالة في الحروب التي شنّت كما قلنا سابقا على تونس وذلك بين باشا الجزائر وباي تونس، حيث استطاع الباي حسن أن يحتل المعسكر التونسي الذي بقي دون مدافع فبعد هذا الانتصار لقي الباي استقبال كبير من أهالي قسنطينة ففرحوا به.

وكما قلنا سابقا أنّ مؤسس جامع سوق الغزل هو الباي "حسين بوكمية" وهذا المتفق عليه والشائع والموثق له، ولكن برجوعنا للمصادر التي تحدّثت بهذا الخصوص وقفنا على رواية أحد الباحثين الفرنسيين الذين حصلوا من الشيخ مصطفى بن جلول على وثيقة تثبت أنّ جدّه "عباس بن علي جلول هو الذي بنى الجامع وذلك بنقوده في حي سوق الغزل ولتخليده قيل أنّه وضع لوحة رخامية فوق الباب الرئيسي عليها نقش بالخط المشرقي وهذا الخط نادر المثال وأكّد أنّ الباي حسين طلب منه أن يضع اسمه تخليدا له على النقيشة الرخامية التخليدية ومادام حسين حاكما وأمره منفذ وافق عباس على طلبه مقابل تعويض على البناء.[3]

---

[1] رشيد بورويبة: الكتابات...، ص155.

[2] رشيد بورويبة: قسنطينة، ص116.

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج5، ص83.

ويقال أنّه بعد وفاة الحاج عباس قام الباي بمحو اسمه وإدراج اسمه هو "حسين" وهذا ما يظهر جليّا في اللوحة التأسيسة،[1] وهذا أيضا مايؤكد عليه محمد المهدي بن شعيب حيث قال أنّ بناء الجامع وتصميمه عائد إلى الحاج عباس وهذا مادلّت عليه كتابة عربية منقوشة على رخامة وجدت بإحدى بيوت القصر المجاور للجامع.[2]

ب-**الدراسات الأثرية للجامع:**

يعد جامع سوق الغزل أحد المساجد الجزائرية الهامة في العهد العثماني بمدينة قسنطينة، يقوم تخطيطه على الطراز التقليدي المحلي وذلك بإعتماده على الاعمدة وتأثره بالطابع العثماني في التغطية بالقباب،[3] هو جامع للمذهب الحنفي، جميل الشكل في مظهره وجميل الصورة بهندسة صرفت عليه أموال طائلة ليكون بالشكل النهائي المراد الوصول إليه.[4]

وقبل حديثنا عن وصفه من الناحية الأثرية والحديث عن عمارته سنتعرّف أوّلا على مقاساته التي توصلنا إليها:

*بيت الصلاة: 18,25م، عرض 24,50م

*الأساكيب: 24,50م، عرض 03م

*البلاطات: 18,25م، عرض2,82م

*البلاطة المستعرضة: 18,25م.[5]

---

[1] عبد القادر دحدوح: مدينة...، ص275.

[2] محمد المهدي بن علي شغيب: المرجع السابق، ص243.

[3] كعرار سميرة: المرجع السابق، ص49.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج1، ص261.

[5] خيرة بن بلة، المساجد...، ص87.

ويدمج الجامع في جزء من واجهته الشمالية والغربية مع قصر "أحمد باي" وتتميز الواجهة الشرقية له بدعائم حجرية بين كل دعامة وأخرى فتحت نافذة مستطيلة الشكل وتنتهي بعقد نصف دائري، أمّا الواجهة الجنوبية فهي تطل على نهج بودشيش بلقاسم، ويتوسطها مدخلان معقودان تتوسطهما دخلة في شكل محراب،[1] وعلى جانبي المدخلين توجد نافذة صماء شبيهة بالنوافذ التي تقع في الضلع الشرقي ويتوسط هذه الواجهة في جانبها العلوي

شكل هرمي تتوسطه نافذة تتوسطه نافذة معقودة وتتوج واجهات الجامع بشرفات مسننة،[2] وفيما يخص المئذنة الخاصة بالجامع فليس من السهل الحديث عنها، ففي هذا الجامع تتواجد مئذنتان إحداهما تقع في الركن الشمالي الشرقي والثانية في الجهة الشرقية والثانية في الجهة الغربية وكلاهما مربعتان المسقط وهما حديثتان،[3] ونضيف أيضا إلى هذا أنّه يحوي ثمانية عشر قبة إحداهما كبيرة ذات قاعدة مضلّعة بالجهة اليسرى من بيت الصلاة، أمّا بقية الأقباب فهي ذات حجم صغير.[4]

ومن المميزات التي تميز جامع سوق الغزل هو أنّه مسقف بقباب وبعقود متصالبة ونجد القبة في حدّ ذاتها مزيّنة وسطها بعنصر ثماني الأضلاع ويكون قاعدة لمقرنصات رائعة الجمال تدور حولها أنصاب أقواس متنوعة الفصوص، ومن جهة أخرى نجد أنّ القبة المتواجدة أمام المحراب لها قاعدة مربعة مؤثثة بمشبكات هندسية. وفي حديثنا عن المحراب فالشيء الذي جعله يمتاز بالروعة هو اعتناء مزخرفوه بزخرفة جداره بانسجام الخزف مع الجص المنقوش، ونجد أنّ القطع الخزافية لها مقاسات مختلفة من قطع مربعة ومستطيلة،[5] وقد زين زين محراب جامع سوق الغزل بكتابة كوفية حروفها بيضاء على أرضية زرقاء، كما استعملت فيه أيضا خطوط تشكل نجوم خماسية ومضلعات مزينة بمراوح وزهيرات وشريط تشغل مركزه وردة.[6]

أماّ فيما يخص النوافذ المتواجدة على يسار هذا المحراب فقدّرت بإحدى عشر نافذة موضوعة بين إفريزين كتابتين مؤثثتين بالعبارة "العز لله" حيث تختلف الزخرفة من نافذة إلى أخرى، كما نجد أيضا فوق النوافذ أنصاف دوائر مؤثثة في وسطها بزجاجة ذات عناصر هندسية ومعمارية، أمّا على يمين المحراب فنجد سبعة

---

[1] عبد القادر دحدوح: المعالم...، ج1، ص38

[2] حروش مفيدة: المرجع السابق، ص64.

[3] عبد القادر دحدوح: قسنطينة...، ص363.

[4] كعرار سميرة: المرجع السابق، ص50.

[5] رشيد بورويبة: قسنطينة، ص118-120

[6] خيرة بن بلة: المنشآت...، ص205-206.

عشر نافذة وثلاثة أنصاف دوائر تختلف عن أنصاف الدوائر المذكورة سابقا حيث تحتوي رجاجية ومشبكات هندسية.[1]

ونضيف إلى ذلك تواجد المنبر على يمينه أيضا والمصنوع من الخشب والذي يبلغ طوله 3،45م وعرضه 0,96 م وارتفاع مقدّمته 0,96 م، أمّا ارتفاع مؤخرته 2,75م ، وهو مضلع يحوي 11 درجة يساوي عرضها 26 سم وارتفاعها 18 سم،[2] وفي أعلى المنبر تتواجد جلسة الخطيب، مقاساتها (0,96 × 1,04م)، ومن الأركان تحف بها أربعة قوائم على شكل أعمدة أسطوانية بها أخاميد عرضية وتنطلق فيها عقود مفصصة نصف دائرية عند واجهة المنبر.[3]

وإذا عدنا للصحن فيذكر الدكتور "عبد القادر دحدوح" أنّه لم يعد له أي أثر ولا نملك أي فكرة في أي جهة كان، لكن ما ورد في كتاب ابن المبارك أنّه كان له صحن في ذكره لمقتل "علي باي" سنة (1223هـ/1807م) إذ قال أنّه كان يصلّي الجمعة بجامع سوق الغزل وبعد انقضاء الصلاة همّ بالخروج فإذا بجنود الثائر "أحمد الشاوش القبائلي" تحاصره فخرج من باب الجامع فوجدهم أمامه فرجع إلى صحن الجامع وخرج على باب آخر، وهذا النص يؤكد أنّ للجامع أكثر من باب في جهات مختلفة وأحد هاته الأبواب يفضي إلى الصحن مباشرة والمحتمل أنّ مكانه في الجهة الشمالية للجامع حيث ترتفع القبة الحالية الكبيرة التي بناها الاستعمار الفرنسي وألحقوها بالجامع والتي قدّر عمقها بـ:10,50م خاصة وأنّ الميضأة تقع هي الأخرى بجانب هذا الموضع وإلى الغرب منه،[4] أمّا ميضأة الجامع فتقع في الركن الشمالي الغربي من الجامع مشكلة من قسمين الأول به حوض والثاني به بيوت خلاء وأمام مدخل هذا القسم نجد درج يصعد بنا إلى المئذنة.[5]

ج- التغييرات التي شهدها جامع سوق الغزل:

تذكر المؤلفات أنه دمّر وحوّل إلى كاتدرائية زمن العهد الفرنسي كما تمّ الاستغناء عن الصحن الذي به، وقيل أنّه نفس المكان الذي استحدثت فيه قبة كبيرة في الجهة الشمالية كما استحدثت فيه رواق خلف بيت الصلاة، ومنه تصل إلى الميضأة وهي مستحدثة كليا وكذلك المئذنتين فقد تمّ بناؤها بمواد بناء حديثة، أما داخل

---

[1] رشيد بورويبة: قسنطينة، المرجع السابق، ص122.

[2] كمال غربي: المرجع السابق، ص123.

[3] عبد القادر دحدوح: المعالم...، ج1، ص45.

[4] عبد القادر دحدوح: مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر2، 2009-2010، ص285-286.

[5] عبد القادر دحدوح: المعالم...، ج1، ص50.

بيت الصلاة فقد تعرّض هو الآخر إلى تغييرات واستحدث أيضا سده على طول البلاطة الأخيرة الموازية لجدار القبلة،[1]

كما يقال أنّ اغتصابه الأوّل كان من طرف "القسيس سوشيه" الذي أشرف على افتتاحه كنيسة وكان الحاكم العام المارشال "فاليه" هو الذي أعطاه الرخصة بذلك دون الرجوع إلى المسلمين ولا إلى اتفاق 1830 القاضي باحترام الدين الإسلامي ويتفق المؤرخون على أنّ هذا المسجد كان من أوسع وأجمل مساجد قسنطينة.

وكررت السيدة "بروس" ذلك والتي كانت معاصرة الحدث وقالت أنّ العرب آنذاك كانوا لا يفرقون بين إله الفرنسيين وإله المسلمين وأنّ الله عندهم هو واحد ولهذا كانوا يزاولون الكنيسة (الجامع)، وذلك لكي يتطفلوا على الطقوس التي كان المسيحيين يقومون بها ويروي سعد الله أنّ هذا الصنف من العرب مجهول، فقال في ذلك لا ندري عن أيّ صنف من العرب تتحدث الرواية والتي تصف المسلمين العرب بالتعصب الديني، في حين اكتفى "مارسيه" أنّه تمّ تحويله إلى كاتدرائيه.[2]

ثالثا: الجامع الأخضر

أ- موقع الجامع وتاريخ تأسيسه:(ينظر الملحق05)

يعتبر من أقدم المساجد وأهمها في مدينة قسنطينة، بني على يد حسن بن حسين الملقب أبو حنك الذي تولى الحكم على المدينة فيما بين(1736-1754) وقد تم بناء هذا المسجد عام 1743م (1156هـ)،[3] والواقع بوسط المدينة وقريب من رحبة الصوف أما حدوده فهو يطل على الشارع من ناحية الغرب والمعروف بشارع سيدي لخضر وذلك منذ زمن الاستعمار أما من ناحية الجنوب فشارع آخر يعرف بنهج كامب في الحقبة نفسها،[4] كما يتوسط أسواق مهمة كالسوق الكبير وسوق الفزازين والجزارين والقصاعين،[5] وكما هو معروف ومتفق عليه أن الشيخ عبد الحميد بن باديس قد استأنف دروسه فيه سنة 1914 واستمر على ذلك أكثر من ربع قرن،[6] أما فيما يخص التاريخ التأسيسي المذكور سالفا فهو حسب ما ورد ضمن كاتبتين أثريتين،[7] وقد كتبتا بخط مغربي بارز، ومثبتتان بالواجهة الخارجية للجدار المقابل للمحراب فجاء مضمون الكتابة الأولى التي وضعت فوق النافذة بين بابي الصلاة بشكل أفقي كما يلي: (ينظر الملحق06)

---

[1] حروش مفيدة: المرجع السابق، ص68.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ...، ج5، ص82-83.

[3] عبد الكامل جويبة: قسنطينة المدينة الخالدة، دار سيدي الخير للكتاب، الجزائر، 2015، ص16.

[4] كمال غربي: المرجع السابق، ص10.

[5] عبد القادر دحدوح: تاريخ وآثار مدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015، ص427.

[6] محمد بسكر: الانتاج...، مج2، ص349.

[7] خيرة بن بلة نايم: المساجد...، ص96.

سطر1: أمر بتأسيس المسجد العظيم.

سطر2: شيد بناءه للصلاة والتسبيح والتعليم.

سطر3: ذو القدر العالي والتدبير الكامل وحسن الرأي أميرنا.

سطر4: وسيدنا حسن باي أدام الله أيامه وكان تمام بناءه.

سطر5: أواخر شهر شعبان سنة ست وخمسين ومئة وألف.

أما نص الكتابة التأسيسة الثانية فكان كالتالي:

سطر1: تم بناؤنا البديع الباهي–عن إذن بانيه لوجه الله.

سطر2: به حسن بك بن حسين أمرا– فصار مسجدا لنا كما ترى 1156.

سطر3: جعل الله سعيه مشكورا– وجزائه جزاء موفورا.

سطر4: سنة ست وخمسين ومائة وألف من الهجرة– من له العز والشرف.

وقد كانت هاته الكتابة تعلو المدخل الأيمن لبيت الصلاة.

كما ذكر أيضا رشيد بورويبة القيمة التاريخية لكلتا الكتابتين وخاصيتهما فوصف الكتابة الأولى من الناحية الشكلية فقال، في عرضها ومكانها بالضبط وشكلها السداسي الغير منتظم وأن الكتابة تحوي خمسة أسطر أطوالها متفاوتة ومحصورة داخل أطر وذكر أيضا في شكل الحروف المكتوب بها أمّا في قيمتها التاريخية فتحدث عن مؤسس الجامع، أما في النص الثاني فذكر أيضا في الخصائص اللوحة المنقوش عليها ووصف مكانها أن الأسطر أربعة مقسمة إلى جزأين داخل أطر بما في ذلك الشكل الخاص للحروف المكتوب بها النص، ونفس الشيء بالنسبة للقيمة التاريخية السالف ذكرها وهي التعريف بمؤسس الجامع.[1]

اختلفت الآراء وتعدّدت حول أصل تسمية الجامع الأخضر بقسنطينة ولكن حسب الآراء التي توصلنا إليها نجد أنّ الدكتورة خيرة بن بلة نسبت تسميته إلى الوالي الصالح "سيدي لخضر" المدفون خلف الجامع وهذا دون ذكر مصدر معلوم لهذا الرأي،[2] وقيل أنه كثيرا ما يدعى سيدي لخضر والأصح هو الجامع الأخضر نسبة إلى لونه،[3] فهناك العديد من الدراسات التي أوردت هذا المعلم بهذا الاسم وهذا كان في مختلف النصوص

[1] رشيد بورويبة: الكتابات...، ص159، 161.

[2] عبد القادر دحدوح: المعالم...، ج1، ص52.

[3] فاطمة الزهراء قشي: معالم...، ص23.

والوثائق كالمحاكم الشرعية وسجل الوفيات فكل هذا أكد القائمة التي وردت في دفتر الأوقاف "لصالح باي" المنشورة من قبل "فيرو" الذي أرجعه إلى غلبة اللون الأخضر والذي لا يزال إلى يومنا هذا سواء في جدرانه أو أضلاله من الخارج أيضا، أو ربما جاءت هاته التسمية نسبة إلى جوامع عثمانية كانت تكتسي اللون الأخضر سواء في ترتيبها أو خزفها التي تزين مئذناتها.

ومن جانب آخر نجد أنّ الفرنسيين اختلفوا في التسمية فمنهم من كتب سيدي لخضر مثل " فيرو" الذي ترجم قائمة المؤسسات الدينية في مقال له ويقول فيه" الجامع ذو اللون الأخضر" "Mosquée verte"، وقد شاعت هاته العبارة في الثلاثينات من القرن العشرين وذلك في عهد عبد الحميد بن باديس الذي عرف بنشاطه هناك. [1]

وعند الرجوع إلى مؤسس الجامع فهو حسن باي المدعو بو حنك (1736-1754)، أصلح البلاد واهتم بشؤون الرعية وحافظ على أمن البلاد لسنوات طويلة، فأسس جامع سيدي لخضر الجميل بقسنطينة وقد حاول أن يعطي المدينة مظهرا عمرانيا جميلا مثل الفلات والأحواش كما حاول تنظيم الأنهج والأزقة وتوفي عام (1167هـ- 1754م)،[2] بعد أن حكم لمدة 17 سنة ولا ننسى أن نذكر أنه اتبع أسلافه وذلك في ولعه بالعمارة واهتمامه بالعلم،[3] ومن بين صفاته أيضا أنه امتاز ببراعة دبلوماسيته أثناء ما أسموه "حرب المداجاة" إضافة إلى كونه إداريا حكيما كما سخر نفسه للقضاء والحد من نفوذ العائلات الإقطاعية، وذكر أنه تلقى من داي الجزائر إبراهيم كوتشوك الأمر بإعانة الأمير في التونسيين محمد ومحمود ابني باي تونس على استرجاع السلطة من ابن عمهما علي باشا،[4] وقد قدم عن هاته الشخصية معلومات كثيرة من طرف المستشرقين "فايسيت" vayssettes "وشربونو" Cherbouneau وعن فترة حكمه ومأساته واستقراره بقسنطينة.[5]

ب- الدراسات الأثرية للجامع الأخضر:

يعتبر جامع سيدي لخضر أيضا من المساجد المنتظمة الشكل حيث يشكل مستطيلا يتجه من الشمال إلى الجنوب وهو بذلك من المساجد المتواجدة بقسنطينة والحامل أيضا للطراز التقليدي الذي يقوم فيه بيت الصلاة على الأعمدة والدعامات، [6] وهو يقع وسط مجموعة من المباني التي تحده من جميع النواحي، ففي في الجانب الأول يظهر الجامع في شكل طابقين، السفلي به حوانيت أما المدخل الرئيسي فيه فتحة بسيطة مستقيمة

---

[1] عبد القادر دحدوح: المعالم...، ج1، ص53.

[2] محمد الصالح بن العنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مر تح: يحيى بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص57.

[3] نصر سلمان: المرجع السابق، ص229.

[4] بن بلة خيرة: المنشات...، ص80.

[5] مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص38.

[6] كعرار سميرة: المرجع السابق، ص50.

وباب خشبي مستحدث، أما الطابق العلوي فيه خمس نوافذ كبيرة مستطيلة تسدها شبابيك معدنية تعلوها خمس فتحات صغيرة مستطيلة الشكل أيضا وفي آخر بيت الصلاة تظهر المئذنة عن الجدار بقاعدة مربعة إضافة إلى نافذة واحدة في الجهة الثانية تتقدم قاعة الدرس بمدرسة الجامع الأخضر، لكن لما تحولت المدرسة إلى مسكن تم بناء جدار أمام هذه النافذة، كما يحوي مدخلين رئيسين يتواجدان في الطابق السفلي، الأول واقع في الضلع الجنوبي، وهو مستطيل الشكل(1.36- 1.90) وفي أرضية درجة يتم النزول عبرها إلى داخل وتقوم على عقدين نصف دائريين في الوسط، يرتكز أحدهما على تاج حجري من الطراز الكوزنتي مجلوب من عمائر قديمة، يقوم على قاعدة حجرية بها حلقات دائرية وتحتها قطعة من الحجر مربعة المسقط وعلى نفس السقيفة يتفتح المدخل الرئيسي الثاني (1.40- 1.86) الواقع أسفل بيت الصلاة ولهذا المدخل باب خشبي من مصراعين، وهو يطل على ممر يفضي إلى الفناء الفاصل بين الجامع والقبة الضريحية التي تقع خلفه باتجاه الغرب، وإلى الجهة الغربية من السقيفة يوجد سلم بوصل إلى الطابق العلوي حيث يوجد بيت الصلاة.[1]

ولبيت الصلاة بالجامع الأخضر عدّة نوافذ فتحت أربعة منها في الجدار الغربي وواحدة في الجدار الشرقي، كما فتح في هذا الجدار بابان الأوّل يطل على البلاطة الأولى وهو يؤدّي إلى غرفة الإمام، أما الثاني فإلى البلاطة الثانية ويؤدّي إلى غرفة...إضافة إلى أنّه فتح باب في الركن الشمالي الغربي ويؤدّي إلى غرفة يوجد جانبها باب يفتح على المؤذنة.[2]

ولقد زيّنت جدران بيت الصلاة ببلاطات خزفيّة منها التونسية و الايطالية أيضا وهناك مجهولة المصدر وهي ذات نوعين فمنها المربعة ومنها المستطيلة إلى جانب زخرفتها التي تغلب على عناصرها زهرة القرنفل، كما تتألّف من عناصر حلزونية تظهر منها أوراق و أزهار ونجد فوق هذه الحلة الخزفيّة إطار ... نقشت عليه أبيات من البردة بخط نسخي مغربي وقد جاء فيها مايلي:

وكلّهم من رسول الله ملتمس	غرفا من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدّهم	من نقطة العلم أو من شكله الحكم
فهو الذي تمّ معناه وصورته	ثمّ اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه ...شريك في محاسنه	فجوهر الحسن فيه غير منقسم
دعما ادّعته النصارى في نبيّهم	واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف	وانسب إلى قده ماشئت من عظم

[1] عبد القادر دحدوح: مدينة...، ص290.

[2] عبد القادر دحدوح: قسنطينة...، ص372.

وجاءت هذه الأبيات متواصلة في منتصف الجدار الشمالي وتستمر إلى طوله الغربي ثمّ إلى نهاية الجدار الجنوبي، أما فيما يخص المحراب المتعلق بالجامع فيعود إلى العهد العثماني وهو عبارة على شكل قوس عرضه 1،38م وجوفه 42 سم على يمينه ويساره نجد ركيز على شكل متوازي المستطيلات وحاميان جذعهما دائري، كما نزيد عن هذا أنّ المحراب يحوي خصائص فنية عديدة فهو ذو تجويفة مقوّسة ومزيّن بالبلاطات الخزفية ذات الزخارف النباتية وقوامها زهرات،[1] أمّا المنبر فهو من الخشب من 9 درعات ويزين مدخله عقد ذو فصوص نصف دائرية تتناوب مع فصوص على شكل عقد مكسور، وزوايا العقد مزينة من الزهور كما يحمل هذا الباب نقش مدوّن عليه: لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه.

إضافة إلى مأذنة ذات قاعدة مربعة ندخل إليها عن طريق باب بيت الصلاة إليها عن طريق باب بيت الصلاة وله سلّم من الخشب بعد الصعود على الدرج الذي تقدّر عدد درجاته بـ: 85 درجة،[2] في حين نجد أن الصحن عبارة عن مساحة غير مسقفة شبه مربّعة تقع بالطابق السفلي خلف السلّم وهذه المساحة تكون فاصلا بين الجامع و القبة الضريحية التي تقع خلفه، ونجد أيضا أن الميضأة الخاصة بالجامع تقع في الطابق السفلي للجامع و هي مستطيلة الشكل (11،20×5م) في الجانب القبلي منها يوجد حوض للضوء وتقابله في الضلع الغربي ستة مراحيض في ضلعها الشمالي نافذتين.[3]

ج- التغييرات التي مست الجامع الأخضر وأهم نشاطاته:

لا يزال يحافظ على نسبة كبيرة من أصالته فقد مسته تغيرات من ناحية الكسوة لجدرانه وبلاطاته الخزفية وألوان رخامية حديثة التي نجدها في جدران السقيفة وأرضية بيت الصلاة والجدران المحيطة به،[4] ونزيد عن هذا أنّ الجهات المختصة اليوم تقترح تصنيفه ضمن المعالم الأثريّة للمدينة العتيقة لقسنطينة وأمّا فيما يتعلّق بمساحته فتبلغ 520م^2.

وفي الحديث عن أهم نشاطات الجامع يمكن القول أنه من المساجد التي أسست لإقامة الصلاة والتسبيح والتعليم فيه، وقد أخذ شهرته في عهد أبو النهضة الجزائريّة "عبد الحميد بن باديس" حيث قام هذا الأخير بالتدريس به واهتمّ فيه بتفسير القرآن لمدة 25 سنة وقد كانت تعلن للطلبة بالجامع الأخضر إعلانات بخصوص بدء الدراسة وانتهائها ومن تلك الدروس البادسية مثال على هذا: " ليكن في علم الطلبة الراغبين في تحصيل العلم أنّ يوم الثلاثاء اليوم الذي يفتتح دروسه السنوية للعلامة الشيخ "عبد الحميد بن باديس" فعلى من توفرت فيه قابلية التعليم أن يقبل ليعمر وطابه"، إضافة إلى افتتاح دروس صاحب هذه المجلة يوم 20 أكتوبر تفتتح

---

[1] خيرة بن بلة نايم: المساجد...، ص102.

[2] كمال غربي: المرجع السابق، ص110.

[3] حروش مفيدة: المرجع السابق، ص74.

[4] عبد القادر دحدوح: المعالم...، ج1، ص67.

دروسنا كما جرت العادة بالجامع الأخضر أما عن دروس هاته السنة فهي قوانين فقهية لابن جزي الأندلسي ومفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول للشريف التلمساني وكتاب الأمالي لأبي علي القالي، وتفسير سور من القرآن الكريم حسب رغبة الطلاّب.

ونزيد عن هذا الدروس المسجدية بقسنطينة على يد جملة من العلماء أمثال "أحمد الحبيبائي، خريج المنعم وعبد القادر المجاوي"، الذين كانوا باجتماعهم معهدا علميّا، كما ضمّ المسجد دروس في الفنون وعلوم الدين واللسان والشيء المميز في التعليم بالجامع الأخضر في العهد البادسي وبعد مرور إحدى وعشرين سنة بالتعليم هو قدوم طلبة من العمالة الوهرانية فتمّ بهم تمثيل الجزائر كلها والثاني هو مشاركة جمعية العلماء المسلمين بإعانة الطلبة وهي أوّل خطوة خطتها لعنايتها الكبرى وهي تأسيس كلية علمية للعلو الإسلامية.

كما نضيف أن دروس الجامع الأخضر نشرت في كل من الجرائد المحلية فمنها مجلة الشهاب في مجلدها التاسع عام 1929، وجريدة النجاح الحاملة لعدد 1364 لعام 1932، إضافة لإلى جريدة الصراط السوي في العدد 4 و 9 من أكتوبر 1933، وشملت تفسيرا للكتاب الحكيم وتجويده وعلى الحديث الشريف، والفقه في المختصر وغيره وعلى العقائد الدينية وعلى الآداب والأخلاق الإسلامية، لإضافة إلى العربية بفنونها من نحو وصرف ولغة وأدب وغيره، زيادة على كل هذا الفنون العقلية كالمنطق، والحساب وغيرها.[1]

السنة الأولى: تشمل هذه السنة على دروس في النحو والصرف والأدب والإنشاء والفقه والتوحيد والجغرافيا فكان الطلبة يتلقون جملة من المتون مع شروحها

السنة الثانية: تقدم فيها سلسلة من الفنون المختلفة من بينها أحاديث من كتاب الترغيب والترهيب ودروسا في تفسير القرآن الكريم وشرح بعض القوانين الفقهية وكان يقدمها الشيخ عبد الحميد بن باديس وتبدأ على الساعة السابعة صباحا وتستمر إلى ما بعد صلاة العشاء.

السنة الثالثة: ويدرس فيها الإمام شرح الألفية في النحو وشرح المختصر الخليلي في الفقه المالكي وجوهرة التوحيد في العقيدة وفي البلاغة شرح الجوهر المكنون للأخضري.[2]

وقد ختمت الدروس العلمية بالجامع الأخضر بإلقاء ابن باديس كلمة الوداع ويزودهم بوصايا نافعة إذ تحدّث عن رابطة الأبوة، البنوة، الأخوّة، وأوصى بالتسامح والتناصح، وذكّرهم أنّ جميع الراغبين في دروس الجامع الأخضر بأنّ القراءة تبدأ صباح الأحد 22 شعبان الموافق ل 16 أكتوبر ونستطيع القول أنّه عهد ازدهار

[1] محمد بسكر: الإنتاج...، مج2، ص351.

[2] المرجع نفسه، ص355، 357.

هذا الجامع كان أيّام ابن باديس، واعتبر الجامع هو مركز ومنطلق للشيخ ابن باديس في نشر العلم و المعرفة و تفسير القرآن.[1]

وقبل نهاية حديثنا عن الجامع الأخضر يجب علينا ذكر أكبر حادثة تعرض لها هذا الجامع والتي تسببت في حدوث إنتفاضة سكان مدينة قسنطينة ضد اليهود يوم 5أوت1934، وذلك لما قام الجندي اليهودي في صفوف الإحتلال الفرنسي "إيلياهو خليفة" باقتحام الجامع الأخضر الذي كان مقر علم ومعقل للعلامة الإمام عبد الحميد بن باديس، فقام اليهودي بالإعتداء على الجامع وأهان المصلين وهو ما جعل سكان المدينة ينتفضون ضد اليهود ومازال الجامع شاهدا على هذه الحادثة إلى اليوم من خلال اللافتة المعلقة أمام باب المسجد.[2]

رابعا: جامع سيدي الكتاني

أ- موقع الجامع وتاريخ تأسيسه: (ينظر الملحق07)

يقع جامع سيدي الكتاني بالجهة الشمالية من المدينة أسفل القصبة بجوار سوق الجمعة الذي كان في زمن الاستعمار يعرف بساحة(NEGRIER) ويعرف حاليا بسوق العصر، وهو ينفتح من جهة الغرب على نهج ابن الموفوف ومن جهة الجنوب الشرقي نهج بوهالي العيد وقد بني هذا الجامع إلى جوار طريق يعرف باسم الكتاني ومن ثم استمدّ الجامع التسمية منه.[3]

وقد سمي هذا الجامع بسيدي الكتاني نسبة إلى ضريح يعرف باسم سيدي الكتاني الذي كان ولكنّه اندثر ولم يعد له وجود، ولكن "صالح باي" أولى هذا الضريح أهمية كبيرة وبالغة، حتىّ أوقف عليه أوقافا، ويرجع بناء هذا الجامع إلى مؤسسه" الباي صالح بن مصطفى الزميرلي" (1725-1792م)، (ينظر الملحق08)[4]
وهو "صالح باي التركي" الذي ولد بأزمير سنة 1725م واضطر للهجرة لأنّه قتل أحد رفقائه خطأ وعمره ستة عشر سنة.[5]

وقد جعل هذا الباي اثنين من الأقراص، الأوّل بسيط جدّا ويحمل هذه الكلمات "صالح باي بن مصطفى" 1185، أمّا الشكل فهو شكل بيضاوي قياس ثلاثين مترا في اتجاه المحور الطويل وخمسة وعشرون في اتجاه المحور الصغير، وهو عبارة عن نقش دقيق جدّا وواضح في الوسط يشتمل على متوازي الأضلاع مع الجانب الخارجي مقعر صغيرا محاطا من دائرة متحدة المركز الأولى التي يتصل بها من خلال زواياه الأربعة التي تمتد

---

[1] سليمان الصيد: نفخ الأزهار عمّا في مدينة قسنطينة من أخبار، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، الجزائر، 1984، ص199.
[2] فوغالي زين العابدين: مسجد ابن باديس يعاني الإهمال ويتحول إلى مفرغة للقمامة، جريدة النصر، يومية، 2017/08/27، (د ص).
[3] كمال غربي: المرجع السابق، ص103.
[4] حروش مفيدة: المرجع السابق، ص73.
[5] كعرار سميرة: المرجع السابق، ص45.

حتى الدائرة الثانية التي تتبع حواف الختم وذلك لتشكيل أربعة بيضاوية صغيرة وأربعة كبيرة منها في المربع الأوسط واحد يقرأ بحروف كبيرة: "صالح بك".[1]

وفي الحديث عن هذا الباي يجب أن نذكر أنّه قام بأعمال جديرة بالذكر في قسنطينة فعمل على تشجيع التجارة الداخلية و الخارجية فتحولت قسنطينة في عهده إلى ملتقى للقوافل التجارية الكبرى ، وأصلح نظام جباية الضرائب واهتمّ بإصلاح جسر القنطرة وخصّص أيضا لليهود المنطقة المحصورة بين باب القنطرة وحافة الهاوية التي كانت مهجورة ليبنوا فيها منازلهم ودكاكينهم فاجتمعوا بها، ثمّ تقلّص وجودهم بحومة باب الجابية وسيدي الكتاني، كما نظّم اقتصاد المدينة وشجّع أصحاب الحرف وبذلك أصبحت قسنطينة تعج بالورش و الأسواق العامرة بها 28 سوقا وسويقة...[2]

وقد اشتغل بمقهى للإنكشارية وتقرب منهم، وانخرط في صفوفهم إلى أن جاء إلى قسنطينة سنة 1756 ضمن الحامية العسكرية واستقرّ بها وتقرّب من البايات هناك وكان صديقا "لأحمد القلي" المتولي لشؤون مدينة القل، وبعد تولّي هذا الأخير بايا على قسنطينة قرّبه منه وعينه قائدا على قبيلة الحراكتة وزوجه ابنته ثمّ عيّنه خليفة، وبعد وفاة "أحمد القلي" عيّن بايا على قسنطينة في (1185هـ/1771م).

كما عرفت قسنطينة في عهده أزهى أيامها من تشييد المباني والمنشآت المعمارية وقد كانت سياسته حكيمة في أوّل حكمه، ثمّ تغيّرت أحواله وكثرت مظالمه فعزله الداي "حسن علي باشا" وعيّن مكانه الباي "إبراهيم بوصبع" في يوم (28 ذي الحجة 1206هـ/21 أوت1792م)، إلاّ أنّ صالح باي لم يرض به وقتله وشق عصا الطاعة، إلى أن أرسل إليه الباشا "حسين باي بوحنك" فألقى عليه القبض وقتله في سنة (1207هـ/ 1792م)[3]

ويرجع تأسيسه إلى سنة (1190هـ/1776م) وذلك حسب كتابة تذكارية نقشت على لوحة رخامية مربعة مثبتة فوق المدخل الرئيسي للجامع بالجهة الجنوبية، واللوحة مؤطّرة بإطار مربع تلتف حوله زخارف نباتية في شكل دائري تتألّف من تخيلية مزدوجة ومعقوفة الشكل مشكلة حرف (S) اللاتيني، أمّا الكتابة نفسها فهي تتوزّع على سبعة أسطر وفي كل سطر خرطوشان مستطيلان تنتهي أضلاعها بقوس مدبب، ما عدا السطر الأوّل وهي مكتوبة بخط نسخي مغربي باللون الأسود على أرضية بيضاء نصّها كمايلي:[4]

بسم الله الرحمان الرحيم صلّى الله على سيدنا محمد

مطالع الخير جاءت – من أفق... والسعادة

---

(1) Eugéne vayssettes: Histoire de Constantine sous La domination Turque de 1517-1837,pr ouarda siari tengour media-plus algerie, 2002, p121.

(2) محمد الصالح بن العنتري: المرجع السابق، ص64-65.

(3) Ernest Mercier op cite p294.271

(4) عبد القادر دحدوح: مدينة...، ص300.

وأشرق الجو منها – بمسجد للإفادة

بناه باي الزمان – هو صالح ذو المجادة

تراه في الخير يسعى – ذخرا ليوم الإعادة

حباه ربي بيتا – في جنة وزيادة

إن رمت تاريخه قل – سنة 1190– ذا مسجد وعبادة.

ومن خصائص هذه الكتابة أنّها نقشت على لوحة من الرخام وقد أثبتت فوق باب من أبواب جامع سيدي الكتاني، وتتميز في كونها نقشت في سبعة أسطر،[1] ومن الكتابة التأسيسية والتاريخ المذكور (1190هـ/ 1776م).

ب– الدراسة الأثرية للجامع:

يحتل الجامع مساحة مستطيلة الشكل وهو مكوّن من طابقين، الأوّل يتمّ الدخول إليه عبر أربعة أبواب اثنان رئيسيان يقع أحدهما في الجهة الغربية والثاني في الجهة الجنوبية الشرقية، بينما فتح البابان الآخران في الجدار الشمالي، أحدهما يطل على الميضأة والثاني مستحدث خاص بالنساء.[2]

وتعتبر الجهة الجنوبية هي الواجهة الرئيسية للجامع حيث فتح في الطابق السفلي لها مدخل رئيسي أمّا الواجهة الشرقية فيتوسطها بروز بمقدار 1,80م، وعرضه 4,50م فتح فيه باب رئيسي يعلوه عقد زخرفي مصمت حدوي متجاوز تتوسطه دائرة[3] وعلى جانبي هذا البروز فتح في الطابق السفلي بابان بكلّ جهة يفضيان إلى أربعة حوانيت، كما يضم الجامع بطابقه السفلي مدخلان رئيسيان و آخران ثانويان، والرئيسيان كان أوّلهما المدخل الذي يقع في الجهة الجنوبية وهو عبارة عن فتحة عرضة 1,90م تنتهي بعقد نصف دائري، وهو محدّد بإطار رخامي يتكوّن من دعامتين تكتنفان المدخل، نهايتهما العلوية في شكل تاج مربّع متدرّج، كما ينفتح هذا المدخل على العقد الأوسط من الرواق الجنوبي للصحن، أمّا المدخل الثاني فيقع في وسط الضلع الشرقي مع نفس مستوى المحراب وشكله بسيط، كما تظهر عليه سمات التغيير والتجديد وهو مستطيل الشكل وبه باب حديدي حديث يتقدمه باب خشبي حديث أيضا، ورواق ينفتح على الرواق الشرقي للصحن بخمس درجات صاعدة، وفيما يخص البابان الثانويان فقد استحدث أحدهما لتسهيل دخول وخروج المصليات وهذا تفاديا

[1] رشيد بورويبة: الكتابات...، ص179.

[2] عبد القادر دحدوح: المساجد...، ص362.

[3] عبد القادر دحدوح: مدينة...، ص301.

لاختلاطهنّ بالرجال وهو يقع في الركن الغربي الجنوبي، أمّا الآخر فهو ينفتح على ميضأة الجامع بالركن الغربي الشمالي.[1]

أما في ما يخص بيت الصلاة فيقع في الطابق العلوي وهو مستطيل الشكل وتقدّر مقاساته بـ : 15,10×18,63م ويتشكّل من خمس بلاطات موازية لجدار القبلة وتحدّ هذه البلاطات أعمدة رخامية أسطوانية ترتكز على قواعد مربعة ويقوم فوق الأعمدة عقود نصف دائرية ويعلوها في معظم أجزاء بيت الصلاة سقف خشبي مسطّح من الداخل تزينه معينات وتتوسطها ورود، كما توجد ثلاث قباب تتقدّم المحراب تميّزت بزخارفها المتنوعة.[2]

كما يأخذ سقف بيت الصلاة من الخارج شكلا هرميا مغطى بالقرميد ترتفع في أركانها قبيبات صغيرة زخرفية رمحية الشكل تعلوها أهلة، وفي وسط السقف حيث قمة الهرم يرتفع سفود معدني بديع الصنع له قاعدة مضلعة ثم تضيف على مرتين بشكل أسطواني لترتفع فوقها كرة يعلوها جزء تخف به أربعة عراوي أو مقابض يرتكز عليها عمود رشيق تتخلله تسع حلقات دائرية متفاوتة المقاسات يعلوها هلال يتوسطه باتجاه الأعلى سهم،[3] كما يحتوي المنبر على كتابة نقشت على لوحة رخامية وهي تعلو مدخل المنبر الرخامي ووضع هذا المنبر سنة 1204هـ، ونصّها كالآتي:

(لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله)

بني منبرا بالعز والنصر صالح له سبل الخيرات تاريخه رشد

ويعتبر المنبر غاية في الجمال و الرقة و أفخم زخرفة

وللمحراب قوس نصف دائري محاطة بحنيتين مستديرتين، الحنية الأولى مزيفة بفقرات على شبه منحرف بارزة فوق شبكة من المعينات وفي الحنية الثانية تتدرج قوس صدفية الشكل،[4] أمّا واجهة المحراب فهي مشكلة من أربعة أعمدة ذات أبدان سوداء وقواعد وتيجان بيضاء، وعمودان بكلّ جهة يقوم كل واحد منهما على دعامة صغيرة رخامية مربعة تعلوها بروزات متدرّجة فوقها قاعدة أسطوانية تبرز منها حلقتان يرتكز عليها بدن أسطواني هو الآخر يعلوه تاج مركّب، وعلى يمين المحراب منبر رخامي طوله 2,80م وعرضه 1,01م،[5] ويحصر هذا

[1] عبد القادر دحدوح: المعالم...، ج1، ص73-74.

[2] حروش مفيدة: المرجع السابق، ص79.

[3] عبد القادر دحدوح: المعالم...، ج1 ، ص78.

[4] كمال غربي: المرجع السابق، ص103.

[5] عبد القادر دحدوح: مدينة...، ص307-308.

المنبر بداخله وبالتحديد في جانبه السفلي سهام تعلوهما مساحة مستطيلة قسّمت إلى أربعة، خراطتين في سطرين أفقين نقشت عليهما بخط النسخ بلون مذهّب على أرضية خضراء كتابة كان نصّها كالتالي:

السطر الأوّل: لا إله إلاّ الله/ محمّد رسول الله

السطر الثاني: بنى منبرا بالعز والنصر صالح/ له سبل الخيرات تاريخه رشد

ونرى أنّ الكتابة تشير إلى تاريخ صنع المنبر (1204هـ/1789م) وهذا يدلّ أنّه تأخر في بناء الجامع بما يزيد عن عشرات السنوات،[1] والملاحظ أيضا أنّ المحراب المضلّع الذي يتوسط جدار القبلة كان ينتهي بشريط مشكّل من ستة خراطتين طويلة وتؤطّرها زخارف نباتية متنوعة نقشت في داخلها بالخط الفارسي بلون بنّي على أرضيّة زرقاء وكان نصّها كالتالي:

الخرطوش الأوّل: بسم الله الرحمان الرحيم فاستعذب (الله)

الخرطوش الثاني: وأقم الصلاة طرفي النهار

الخرطوش الثالث: وزلفا من الليل إن الحسنات

الخرطوش الرابع: يذهبن السيئات ذلك ذكرى

الخرطوش الخامس: للذاكرين واصبر فإنّ

الخرطوش السادس: الله لا يضيع أجر المحسنين "عمر بن قاسم" في سنة1202هـ

ومن خلال هذه الأبيات يظهر اسم عمر بن قاسم ومعه ذكر لتاريخ 1202هـ/1787م وهو تاريخ متأخر بالنسبة لنهاية أشغال بناء الجامع التي كانت سنة 1190هـ/ 1776م[2] بما يزيد عن العشر سنوات، وفي هذه السنة كان مؤسس الجامع "صالح باي" لا يزال حيّا، ومن ثمّ يطرح سؤال حول علاقة عمر بن قاسم بالجامع؟ وكيف يمكن أن يتركه "صالح باي" ينقش اسمه وفي المحراب الذي هو قبلة لكافة المصلين؟ لعله يكون قام بهذا العمل طواعية ومساهمة منه في بناء هذا المعلم، ومن ثمّ أذن له "صالح باي" بتسجيل اسمه،[3] أمّا فيما يخص جدران بيت الصلاة فالغربي منها فتحت به خمسة أبواب أماّ الجنوبي فخمس نوافذ وفي الشرقي أربع نوافذ في حين يخلو الجدار الشرقي من أيّ نافذة أو باب وذلك بسبب كونه حائطا مشتركا بين الجامع والمدرسة.

---

[1] عبد القادر دحدوح: مدينة...، ص311.

[2] عبد القادر دحدوح: المعالم...، ج1، ص79.

[3] المرجع نفسه، ص80.

وفي حديثنا عن الصحن فهو واقع بالطابق السفلي وهو مربع الشكل وفي وسطه نافورة وتتشكّل من حوض سفلي دائري تتجمّع فيه المياه وتتوسطه قاعدة مثمنة تتدرج نهايتها العلوية نحو الداخل، أماّ في الطابق العلوي يلتف حول الصحن رواق من أعمدة بعضها رخامي والآخر مستحدث بالجبس،[1] ونجد أنّ ميضأة الجامع جاءت في خلف وأسفل السلم الصاعد إلى الطابق العلوي بالجهة الشمالية من الصحن وهي تأخذ مساحة مستطيلة، مقسّمة إلى ثلاثة أقسام تلتف حول قاعدة المئذنة وفيها تتوزّع بيوت الخلاء على جانبين يتوسّطها ممر، وفي أعلى هذا القسم توجد ميضأة خاصة بالنساء في الطابق العلوي.[2]

أمّا المئذنة فهي تختلف اختلافا كبيرا عن تلك التي تتواجد في المساجد الأخرى والبرج الرئيسي لها أسطواني بينما، نجده مربعا في مسجد سيدي الأخضر وسوق الغزل ويعلو هذا البرج سور مؤنث وإفريز من الأقواس نصف الدائرية للجدار الذي يحيط بالمنصة التي يطلق منها المؤذّن دعوته للصلاة، في حين نجد أنّ ساحة جامع سيدي الكتاني واقعة في الطابق الأرضي مع بركة مياه تتخلّلها صالات موجّهة باتجاه الجنوب الشرقي والتي تسمح للمصلين بالصلاة في الخارج،[3] ونضيف إلى هذا أنّ مئذنة الجامع الكتاني فريدة من نوعها في الجزائر وذلك بشكلها الأسطواني، ومن أمثلتها جامع صالح باي بعنابة (1206هـ-1791م) وهي تعدّ من التأثيرات الفنية التركية التي دخلت أرض الجزائر خلال الفترة العثمانية.[4]

وبخصوص الملاحق المتعدّدة بجامع سيدي الكتاني فكانت كالتالي: يتواجد به قاعتان إحداهما ترتفع أرضيتها عن الثانية بحوالي1م، ويتم الدخول إليها عبر باب يطل على الصحن وباب آخر يطل على الرواق الذي يربط بين المدخل الرئيسي الشرقي والصحن، وفي الجهة الشمالية من هذا الرواق يوجد باب يوصل إلى ثلاث قاعات تنفتح على بعضها البعض، الأولى طويلة تنتهي بفتحة معقودة تؤدّي إلى قاعة ثانية عرضية.[5]

ج- التغيرات التي شهدها جامع سيدي الكتاني:

أمّا عن التغيرات التي لحقت بالجامع فيقول الأستاذ والدكتور عبد القادر دحدوح: "أنّ الجامع قد تعرّض فعلا إلى تغييرات عديدة مسّت جوانب مختلفة منه، ويظهر ذلك جليّا على الواجهتين الخارجيتين الشرقية والجنوبية والملاحق التي تقع أسفل بيت الصلاة، وفي الميضأة التي تقع في الطابق العلوي الذي فتح في الركن الغربي الجنوبي الخاص بالنساء والميضأة التي تقع في الطابق العلوي والسقف الذي يعلو الصحن وفي السلّم

---

[1] عبد القادر دحدوح: مدينة ...، ص312.

[2] عبد القادر دحدوح: المعالم...، ج1، ص87-88.

[3] رشيد بورويبة: قسنطينة، المرجع السابق، ص144.

[4] حروش مفيدة: المرجع السابق، ص 82.

[5] عبد القادر دحدوح: مدينة...، ص113.

الصاعد إلى السدة الموجودة ببيت الصلاة و التكسيات الزخرفية التي تزين السلم الرابط بين الطابق السفلي والعلوي.[1]"

ونزيد عن كل هذا أن الجامع قد شهد في مطلع القرن العشرين توافد كثير للطلبة نتيجة للعلماء الذين عملوا به وجهودهم الجبارة في سبيل ترك أثر طيب في المجال العلمي والمعرفي في مدينة قسنطينة ومن أمثلة هؤلاء الشيخ "أحمد بن سعيد (ابن مرزوق) الأحبيباتي"، فتعلّم القرآن الكريم ومبادئ العلوم وأخذ عن "المجاوي و حمدان الونيسي" وبعد تخرجه تولّى التدريس بالمسجد وكانت دروسه تخضع للرقابة من قبل الإدارة الاستعمارية، وقد جاء في تقرير لمفتش المدرسين " سان هاتي" وذلك في سجلّه خلال السنة الدراسيّة (1912-1913) حيث ذكر أنّ عدد المتعلّمين يبلغ 20 تلميذا يمثلون مختلف جهات العمالة (الطاهير، عين مليلة، قسنطينة، القل، وادي الشرف، وادي زناتي...) وكانت الدروس تلقى خلال ستة أيّام في الأسبوع، بمعدّل ساعتين في اليوم من الساعة الواحدة إلى الثالثة.

الأحد: القواعد[2]

الاثنين: الأدب

الثلاثاء: القواعد

الأربعاء: التوحيد

الخميس: القواعد

السبت: الفقه الإسلامي

في حين الكتب المعتمدة في التدريس هي: الأجرومية، قطر الندى، لامية الأفعال، رسالة أبي زيد، مختصر سيدي خليل (باب النكاح و الطلاق)، وقد قالت جريدة النجاح في وصفها لسيدي أحمد الأحبيباتي: " كان يتألّم كثيرا على ما أصاب المسلمين من الخلاف وتفرق الكلمة ويرشد الناس في دروسه إلى إخلاصهم ... ودروسه النفسيّة كانت لا تنقطع أيضا في جميع الفصول.[3]

[1] كمال غربي: المرجع السابق، ص 104.

[2] محمد بسكر: الإنتاج...، مج2، ص341.

[3] المرجع نفسه، ص342، 345.

خامسا: باقي مساجد قسنطينة

أ-المساجد الباقية اليوم بقسنطينة:

جامع سيدي عفان: (ينظر الملحق09) تبيّن من خلال المصادر المعاصرة والكتابات أنّه بقي دون هدم بعد تسميتين له،[1] وهو واقع بنهج مولان بالحي العربي العتيق ولا يزال قائما إلى اليوم وتقام فيه الصلوات الخمس والجمعة والدروس الدينية، وهو من أقدم مساجد المدينة ولا تتواجد أي معلومات حول تاريخ إنشائه.[2]

جامع سيدي محمد بن ميمون: (ينظر الملحق10) هو من أقدم المساجد بالمدينة أنشئ خلال سنة 1700م، حيث كان يضم مكاتب المحكمة الشرعية الإسلامية قبل نقلها وتحويلها من طرف السلطات الاستعمارية إلى مسجد الأربعين شريفا تمّ بناؤه خلال فترة الثمانينات، تقام به صلاة الجمعة والتعليم القرآني للصغار، تبلغ مساحته الإجمالية 338م^2 وهي المساحة المبنية.[3]

جامع سيدي بوعنابة: موقعه أسفل بطحاء آل الفقرن، وليس لدينا معلومات حول نشأته، وهو نفس زاوية عيساوة حيث تقام فيه الصلوات الخمس ودروس للكبار والصغار.[4]

جامع السيدة حفصة: وهو جامع صغير تقلم فيه الصلوات الخمس ويعلّم فيه الصغار، وموقعه بنهج عبد الله باي ولا نعلم تاريخ نشأته.

جامع سيدي مغرف: (ينظر الملحق11) وهو جامع صغير موجود أيضا بنهج عبد الله باي، وتقام فيه الصلوات الخمس ويعلّم فيه الصغار والكبار، وموقعه أسفل جامع السيدة حفصة غير بعيد منه، كما أنّنا لا نملك أية معلومة عن تاريخ نشأته.

جامع سيدي راشد: (ينظر الملحق12) وهو من أقدم المساجد وموقعه أسفل قنطرة سيدي راشد بالحي العربي العتيق، وتاريخ نشأته مجهول.[5]

جامع سيدي عبد المؤمن: (ينظر الملحق 13) يعود تاريخ بناء هذا الجامع إلى سنة (1756- 1771) في عهد "أحمد باي بن علي القلي" بنهج ملاح سليمان[6] بالسويقة إذ كان يعرف بالزاوية القادرية، تقام فيه الصلوات

---

(1) أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج5، ص88.

(2) شعيب محمد المهدي بن علي: المرجع السابق، ص244.

(3) نصر سلمان: المرجع السابق، ص 236.

(4) شعيب محمد المهدي بن علي: المرجع السابق، ص244.

(5) المرجع نفسه، ص246.

(6) ز الزبير، المرجع السابق، (د ص).

الخمس ويعلّم فيه القرآن وتلقى فيه الدروس،[1] وقد نقش على مدخل الجامع كتابة بخط نسخي ثلثي جاء فيه مايلي:

تبدي المباني السعد في أرجائها يبدو كعطلة زهرة بازائها
تجديده يحكي الربيع وزهره أو كالسماء ترصعت بنجومها
نادى لسان الحال جهرا معلنا إنّ البنا لصالح من شاهدها
زاد الإله له البنا غما على حساده مذ تممت بكمالها[2]

وتجديد البناء المشار إليه كان من قبل "صالح خوجة بن مصطفى بن محمد ململي بنجاري" عام ثلاثة وثمانين ومائة وألف (1183هـ/1769م)، حينئذ كانت قسنطينة تحت حكم أحمد باي القلي.[3]

جامع سيدي محمد (بوعبد الله الشريف): وموقعه بنهج الدباغين، وقد نصّ القرار البلدي على تعيين موظف واحد به، وهو مجهول التاريخ.[4]

جامع سيدي بومعزة: الواقع في نهج الشيخ "عبد الحميد بن باديس"، ولقد كان عبارة عن مركز للمكتب الابتدائي العربي الذي تأسس سنة 1927، ثمّ أصبح سيدي بومعزة للتعليم والصلاة، وأصبح أيضا فرعا تابعا للجامع الأخضر مثل مسجد سيدي قموش، ولكن بعد وفاة الشيخ "عبد الحميد بن باديس" 16- 04- 1940 رجع المسجد تابعا لمدرسة التربية والتعليم وفروعها بقسنطينة، وبقي على هذا الحال إلى حين إغلاق المدرسة وفروعها من طرف الاستعمار[5] وذلك عام 1957 زمن الثورة التحريرية الكبرى، ويعتبر هذا المسجد أولى الأماكن التي درّس فيها الشيخ "عبد الحميد بن باديس".[6]

جامع سيدي قموش: ويعود تاريخ نشأته إلى القرن التاسع الهجري وذلك حسب ما هو مكتوب على شاهد قبر صاحب هذا الاسم المدفون بداخل المسجد[7] وهو الواقع في زنقة رقم 23، وهذه الزنقة تتفرّع من نهج "بن عميرة عميرة مولود" ونهج بن عميرة يتفرع من نهج 19 جوان (نهج فرانس سابقا) بقسنطينة، وهذا المسجد يعتبر من أملاك آل باديس حتى بعد الاحتلال الفرنسي،[8] ويتربع على مساحة قدرها 280 م^2 ولكن يكاد المارة لا ينتهون

[1] شعيب محمد المهدي بن علي: المرجع السابق، ص246.
[2] رشيد بورويبة: الكتابات...، ص175.
[3] محمد بسكر: الإنتاج...، مج2، ص260.
[4] شعيب محمد المهدي بن علي: المرجع السابق، ص246.
[5] سليمان الصيد: نفخ...، ص204.
[6] كمال غربي: المرجع السابق، ص131.
[7] شعيب محمد المهدي بن علي: المرجع السابق، ص246.
[8] سليمان الصيد: نفخ...، ص201.

لوجوده على الرغم من أنّه يطل على قصر أحمد باي ومسجد حسن باي، وبالرغم من أنّ صفوفه التي تضم المصلين لا تكاد تكتمل إلاّ أنّه لا يزال محطة شد قلوب من تربوا داخل جدرانه من أبناء المدينة القديمة.[1]

وبعد شراء مسجد سيدي قموش قام الشيخ "المكي بن باديس" (جد الشيخ عبد الحميد بن باديس) بإدخال إصلاحات على المسجد وكان ذلك سنة 1924 حيث أصبح من المساجد القديمة بقسنطينة العامرة بالصلاة والدروس، كما يتواجد به ضريح "سيدي بركات" عالم وعابد كبير وهو من أسلاف العائلة الباديسية وهو الجامع الذي ألقى فيه "عبد الحميد بن باديس" دروسه وعلّم فيه الصغار، وهذا المسجد ومسجد سيدي بومعزة تابعان للجامع الأخضر وكانت مقاصدهم دينة تعليمية.[2]

جامع سيدي الذرار: يقع بحي الحدادين (نهج كومب رقم 107) وقد نصّ القرار البلدي على تسمية موظف واحد وهو موجود اليوم وتقام فيه الصلوات والدروس وتعليم الصغار أيضا، إذ أدخلت عليه إصلاحات عديدة بعد الاستقلال تخص بيت الصلاة والميضأة، وبخصوص تاريخ نشأته فهو مجهول.

جامع سيد فتح الله: يقع هذا الجامع بناحية مقعد الحوت شمال رحبة الصوف (نهج هنري فامية)، وقد نصّ القرار البلدي فيه على تعيين موظف واحد فيه ونفي الشيء تقام فيه الصلوات وتلقى فيه الدروس ويعلّم فيه الصغار.[3]

جامع سيدي قيس: كان في سنة 1930 مقرا للزاوية العمارية،[4] وموقعه في درب ابن شريف، كما نصّ القرار فيه أيضا على تعيين موظف واحد أيضا وبعد الاستقلال صار فرعا لمدرسة زغدود الابتدائية.[5]

---

[1] ص رضوان: سيدي قموش...مسجد آل ابن باديس ومنطلق دروس الإصلاح، جريدة النصر، يومية، 2018/12/17، (د ص).

[2] سليمان الصيد: نفخ...، ص203.

[3] شعيب محمد المهدي بن علي: المرجع السابق، ص247.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج5، ص88.

[5] شعيب محمد المهدي بن علي: المرجع السابق، ص247.

جامع الأربعين شريفا: (ينظر الملحق رقم 14) والذي حوّلته السلطات الفرنسية إلى محكمة للأحوال الشخصية الإسلامية، وبعد الاستقلال أعيد إلى وظيفته وأصبحت تقام فيه الصلاة"[1] ويتواجد هذا الجامع بنهج "الشيخ عبد الحميد بن باديس" إذ قام بالتدريس فيه الشيخ "الطاهر بن زقوطة" وهو حفيد "عمار بن زطوطة"، وقد قاد حملة الدفاع عن قسنطينة وعنابة سنة 1837، وكانت حلقته تضم 20 طالبا.[2]

جامع سيدي عبد الرحمان القروي: يتواجد برحبة الجمال وهو مسجد قديم القديم جدا بالمدينة، كان صغيرا وتقام فيه الصلوات الخمس ولكن بعد الاستقلال جدّده المسلمون ووسعوه وجعلوا له منارة، حيث يتألّف من طبقتين أرضية وعلوية ولكل واحد منها محراب ويخطب ويصليّ الإمام في الطبقة العليا ويسمعه من في الطبقة السفلى، كما تقام فيه الصلوات والدروس أيضا،[3] وكان بناؤه عام 1161هـ/1738م إذ يتكوّن من مساحة قدرها 110م^2.[4]

ب-المساجد المندثرة بقسنطينة:

جامع سيدي عمر الوزان: كان متواجد برحبة الجمال أين المسرح البلدي اليوم، أزيل إبان السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي ونقلت رفاته إلى جامع سيدي عبد الرحمان القروي بنفس المنطقة ودفنت على يسار المحراب.[5]

جامع رحبة الصوف: يرجع إلى القرن 5هـ جعل مخزنا للشعير في الأيام الأولى للاحتلال الفرنسي، وسنة 1848 حوّل إلى ملجأ لإيواء ضحايا المجاعة وكتب على بابه "ملجأ" و"الجمهورية الفرنسية الأم الرؤوف للفقراء والأيتام"، وفي عام 1852 أسقطوا منارته وقال "أرنست ميرسيه" في كتاباته أنّه اختفى وأقيم مكانه المستشفى المدني وأعطي للراهبات المسيحيات، وفي ظل الحرب ع2 حوّل إلى مدرسة لتعليم الفرنسية ولا تزال متواجد إلى اليوم وأطلق عليها اسم "مدرسة علي خوجة".[6]

جامع سيدي عبد الرحمان المناطقي: بني هذا المسجد عام(1022هـ/1613م)، وتسمية "المناطقي" كان يوحي لاسم كبير ويقال كان يحلف برأسه، ويقال أيضا أنّ هذا الشخص كان من المغرب الأقصى، أمّا موقعه مقابل فندق الزيت وقد تمّت إزالته من طرف سلطات الاحتلال وحلّ محلّه مجموعة من البنايات.[7]

---

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج5، ص88.

[2] شعيب محمد المهدي بن علي: المرجع السابق، ص247.

[3] كمال لدرع: المرجع السابق، ص47.

[4] محمد بسكر: الإنتاج...، مج2، ص247.

[5] شعيب محمد المهدي بن علي: المرجع السابق، ص247.

[6] نصر سلمان: المرجع السابق، ص237.

[7] شعيب محمد المهدي بن علي: المرجع السابق، ص248.

جامع سيدي بن عيناس: يقع هذا الجامع في الناحية السفلى من رحبة الجمال ولم يعرف مكانه بالضبط، وهو من المساجد التي دمرت أيضا تدمير كلّي.

جامع سيدي علي الطنجي: يقع في نهج يبدو بالحي العربي القديم، فقد نصّ القرار البلدي على تعيين اثنين من موظفيه بالضبط وكما أنّه قد اندثر أيضا.

جامع سيدي الشاذلي: لم يعرف موقعه بالضبط، وقد نصّ القرار على تعيين ثلاثة من موظفيه.[1]

جامع سيدي بوشداد: نفس الشيء فقد اندثر أيضا، ويقال أنّ موقعه قريب من باب الجابية وأنّ القرار البلدي قد نصّ على تعيين اثنين من موظفيه.[2]

جامع سيدي الهواري: نصّ القرار البلدي أيضا على تعيين اثنين من موظفيه، أمّا عن موقعه فهو قريب من نهج فارنه في اتجاه رحبة الصوف والمتواجد في زنقة 19 جوان (نهج فرانس سابقا) جنوب مقعد الحوت، اختلسه اليهود كما اختلسوا زاوية التلمساني وحولوها إلى مراكز صهيونية.[3]

جامع سيدي علي القفصي: أصبح لا وجود له حيث أنّه هدّم مبكّرا، وكان يتواجد في الشارع الكبير شرقي المدينة وراء شارع قسنطينة شمال زاوية التلمساني.

جامع سيدي إبراهيم الراشدي: كان بالقرب من موقف للسيارات بشارع بن مهيدي غير بعيد عن جزيرة النصر، إندثر وورد ذكره أيضا في القرار البلدي. [4]

جامع سيدي فليسة: لا توجد أي معلومات حوله، لا عن موقعه ولا عن تسميته.

جامع سيدي هوران: نفس الشيء لا توجد أي معلومات عنه سوى أنّه ذكر في القرار البلدي ودمّر كغيره.

جامع سيدي مفرج: تواجد بأعلى الطابية في نهج ليون، يقال أنّه ينسب إلى آل باديس بالطابية، وهناك رواية أخرى مفادها أنه تواجد حيث يقع السجن العسكري الحالي، ولا نملك الصحيح من الروايتين.

جامع سيدي نقاش: يقع بنهج مورلان بالحي العربي العتيق، ولكن المؤرخ الفرنسي "أرنست ميرسيه" ذكر أنّ موقعه بنهج ديموايان خلف قصر "أحمد باي".

---

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج5، ص80.

[2] المرجع نفسه، ص84.

[3] شعيب محمد المهدي بن علي: المرجع السابق، ص250

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج5، ص88.

كانت هذه المساجد قد ذكرت في القرار البلدي وهناك مساجد لم يتم ذكرها في القرار البلدي، ولكن قد تمّ تناولها من طرف مؤرخوا المدينة من عرب وفرنسيين وهذه المساجد هي:[1]

جامع سيدي بركات العروسي: هو أوّل جامع دخلته أقدام الاحتلال الفرنسي وذلك يوم 13 أكتوبر 1837، وكان موقعه بناحية الكازينو (رحبة الزرع القديمة) حيث لم يبقى له أي أثر.[2]

جامع سيدي بوقصيعة: كان موقعه بالشارع الفسيح غزة نوفمبر بين الحديقتين العموميتين وراء دار البريد ووراء قصر العدالة، وهو أيضا تمّ دخوله من طرف الاحتلال الفرنسي ولم يبق له أثر.[3]

جامع سيدي الجليس: تحوّل إلى مدرسة عربية فرنسية تابعة للإدارة الفرنسية، هدّم سنة 1851 وأطلق عليه اسم مدرسة جول فيري.[4]

جامع سيدي صفار: من أقدم مساجد المدينة وهو قريب من زاوية التلمساني في اتجاه القنطرة.

جامع سيدي الدبى: كان موقعه في ساحة باب الواد حيث دار البريد، وقد كان مصيره الاندثار أيضا بدخول الفرنسيين.[5]

جامع سيدي علي بن مخلوف: (ينظر الملحق15) كان رجلا صالحا، حاز على ثقة ناس قسنطينة واحترامهم وتقديرهم لصلاحه وتقواه وتفانيه في خدمتهم، بني المسجد سنة 583هـ/1187م، في حي الطابية، وبالقرب من برج السوس.[6]

جامع الجوزة:

ويسمى أيضا جامع سيدي أحمد زروق والمعروف أنّ هذا الشخص كان يتردّد كثيرا لقسنطينة قادما إليها من المغرب الأقصى، وهذا الجامع أيضا اختفى على يد الفرنسيين.[7]

---

(1) شعيب محمد المهدي بن علي: المرجع السابق، ص 252.

(2) كمال غربي: المرجع السابق، ص152.

(3) شعيب محمد المهدي بن علي: المرجع السابق، ص251.

(4) أبو القاسم سعد الله: تاريخ...،ج 5، ص88.

(5) كمال غربي: المرجع السابق، ص153.

(6) عزي بوخالفة: المرجع السابق، ص107.

(7) كمال غربي: المرجع السابق، ص154.

وفي ذكر أيضا المساجد المندثرة بفعل فاعل نذكر جامع خليل الذي هدمته فرنسا دون معرفة السبب وراء ذلك، إضافة إلى جامع الجوار وجامع البيارزي واللذان اختفيا أيضا دون ذكر السبب وهذا ما ذكر من طرف "ميرسيه"، وهناك مساجد أخرى ذكرت بصريح العبارة لدى هذا الأخير والتي كان قد نشرها عام 1878 وكانت أسماؤها كالتالي:(مسجد سيدي الوردة الذي هدم لإنشاء الساحة المعروفة بساحة النمور، وهذا اللقب كان لدى إبن ملك فرنسا، إضافة إلى مسجد سيدي فرغان، سيدي حجام وسيدي حيدان وسيدي ياسمين، ومسجد سيدي قنيش وسيدي كرامة، وسيدي محمد زواو"الزواوي"، إضافة إلى سيدي حسن بن ميمون، وسيدي مفرج، وذكر سيدي سبيعة، ومسجد سيدي يحي الفيلي)، وما يلاحظ في ذكر هاته المساجد هو إشتراكها في لفظ"سيدي" والتي تدل على أن صاحبها كان وليا صالحا عند العامة، وأشار أيضا شربونو تواريخ وفيات بعضهم وإن دل هذا على شيء فهو يدل على قدم هاته المساجد.[1]

مما سبق ذكره نستنتج أنّ مساجد قسنطينة باختلاف أزمنتها وسواء كونها صغيرة أو كبيرة قد لعبت الدور الثقافي، الديني والاجتماعي... منذ احتلال المدينة، فكانت بذلك قلب أهالي المدينة ونابضها حيث عملت على توعية الشعب الجزائري بتقديم دروس تدافع عن الهوية الوطنية، كما دعت إلى إيصال صوتها إلى كل من المشرق والمغرب فاستطاعت بذلك أن تنشئ جيلا صاعدا مقاوما بلغته وثقافته ودينه، وحاولت أيضا دفع كلمة حق والدفاع عن أرضها وتطهيرها من الاستعمار فمثلت بذلك المدرسة وملتقى المصلين في آن واح

[1] أبو القاسم سعدالله: تاريخ...، ج5، ص85.

الفصل الثالث:

النتاج العلمائي لمساجد قسنطينة

أولا: الصالح بن مهنا

ثانيا: عبد القادر المجاوي

ثالثا: المولود بن الموهوب

رابعا: الشيخ عبد الحميد بن باديس

عجّت مدينة الجسور المعلّقة بالعديد من العلماء والأدباء منذ القدم، وهذا ليس بالجديد عنها في وقتنا الحالي، حيث شهدت حراكا ثقافيا ونحن نتحدّث بالتحديد عن القرنين 19-20 أي في خظمّ الظروف التي كانت تعيشها إبان الفترة الاستعمارية، واستطاعت أن تشن حركة إصلاحية، تعليمية، وتنهض بجل العلوم ومجالاتها ومثّلت بذلك مدينة الثقافة ورفعوا البأس عنها، ونعود ونذكر أنّ قسنطينة أنجبت أجيالا من الموسوعيين الذين ذاع صيتهم وذاعت شهرتهم من بلدهم الجزائر إلى بلدان المشرق والمغرب فخاضوا بذلك ثورات في الفكر والثقافة توارثها أبنائهم فيما بعد جيلا بعد جيل وخلفا بعد سلف، وفي حديثنا عن هؤلاء العلماء حاولنا انتقاء البعض منهم، ولعلا الحديث عنهم لا يكفي أمام الشيء الثمين الذي أحصوه من علم وفقه ودين.

أوّلا: صالح بن مهنا القسنطيني (1840-1910):

أ- المولد والنشأة: صالح بن مهنا هو أكبر علماء عصره وقد ولد هذا العلامة في قرية كركرة قرب بلدة القل سنة 1840،[1] وتاريخ ميلاده لا نجد أنّه متفق عليه فعبد الكريم وصفصاف قد ذكر أنّه ولد سنة 1854[2] ولكن التاريخ الأرجح هو 1840 وذلك بالعودة إلى سنة تخرجه من جامع الزيتونة سنة 1856، وفي رجوعنا للحديث عن المنطقة التي نشأ بها الشيخ "صالح بن مهنا" والمولود بها نجد أنّ هاته القرية (كركرة) قد كانت مسكن "قبيلة ابن مهنا" المنحدرة من أصول مشرقية.[3]

نشأ وأخذ علومه بمدينة قسنطينة وحين بلوغه سن السادسة من عمره هاجر والده إلى تونس فأكمل هناك تعليمه،[4] ومن الملاحظ أنّ " صالح بن مهنا" قد نشأ نشأة سوية وهذا ما أهلّه لرفع راية الإصلاح، حيث كان في نشأته الأولى متأثرا بشيخه " عبد الله الدراجي" الذي ألّف في سيرته كتابا عنونه بـ: " إسعاف الراجي في بعض مآثر الدراجي" فهذا الأخير قد قام بشن ثورة ضد الظلم والاستبداد بعيدا عن تملّق الحكام وهذه الصفات وغيرها وجدت في شخص "صالح بن مهنا"،[5] وكان " بن مهنا" قد سجّل نفسه من مواليد قسنطينة في شهر ماي 1889 وذلك حسب ما هو مسجل في الحالة المدنية ببلدية قسنطينة، وفي ذلك الوقت قد بلغ من العمر 35 سنة.[6]

---

[1] ب عبد الرزاق: العلامة صالح بن مهنا وجهوده في التعليم والإصلاح (1840-1910)، أعمال ملتقى وطني حول حياة وجهود العلامة الشيخ صالح بن مهنا، 5- 6 جويلية 2017، سكيكدة ، ص1.

[2] عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، دار الهدى، جامعة منتوري قسنطينة، 2002، ص126.

[3] ب عبد الرزاق: المرجع السابق، ص2.

[4] محمد بسكر: الإنتاج...،مج2، ص185-186.

[5] ب عبد الرزاق: المرجع اسابق، ص3.

[6] سليمان الصيد: صالح بن مهنا القسنطيني (حياته، تراثه)، دار البعث، الجزائر، 1983، ص27.

ب- مسيرته العلمية: بعد أن أتمّ العلامة تعليمه في كل من الزيتونة والأزهر عاد إلى بلده الجزائر[1] وذلك سنة 1887 واستقر فيها مدّة من الزمن، وإقامته كانت في زاوية الشيخ " بلقاسم بوحجر" فتزوّج من هناك واشتغل في مجال التدريس وبعد ذلك قدّم طلب من الشيخ " محمود بن محمد الشاذلي" إلى" الشيخ علي" شيخ زاوية بوحجر فتوجه "صالح بن مهنا" وبقي هناك منشغلا في منصب إمام بالجامع الكبير حيث ظلّ فيه لعدّة سنوات.[2] أمّا فيما يخص رحلاته فقد قام بزيارة إلى بيت المقدس وعند رجوعه ذكر أنّه تيه في الصحراء غير أنّ هذا لم يذكر فيه العام بالتحديد، كما لا ننسى أنّه قام بزيارة علمية أو بالأحرى رحلات داخل الجزائر وخارجها ومن بينها زيارته لمدينة بسكرة عام (1313هـ/1895م)، فقام بتدوين رحلاته داخل وخارج الوطن.

ونزيد عن هذا أنّه كان كثير الكتابة والتأليف هذا وقد ازدادت كتاباته على الستين مصنفا نال منها علم الكلام والتصوف الحظ الأوفر،[3] وبهذا كان هذا المصلح رائدا من رواد الفكر الإصلاحي مطلع القرن العشرين فقد خرج عن المألوف وذاع صيته داخل وخارج الجزائر، وعرف بخصومته للطرق المنحرفة، وقد قال عنه في هذا الصياغ الأستاذ "مالك بن نبي": (إن مناجاته للضمير كادت أن توقظ أهل قسنطينة كلها حوالي سنة 1898، وكان من طليعة المصلحين، إذ قام قومة مباركة ضد الخرافيين فعملت الحكومة الفرنسية على إبعاده وصادرت مكتبته التي لا تقدر بثمن)،[4] كما قدم أيضا دروسا في جميع المواد تطوعا لتلامذته بالزاوية الحنصالية، فكانوا التلاميذ يحضرون لدروسه القيمة والمفيدة، في حين كانت تقع هاته الزاوية بنهج رواق السعيد رقم 19 قرب المكان المعروف بالرصيف بمدينة قسنطينة.[5]

كما عمل على تطوير الكتابة وجعل أسلوبا لها، ولكن عند الرجوع إلى تدريسه في الجامع الكبير بقسنطينة، نذكر أيضا أنّه درّس في الأزهر لكن المجهول لدينا هو الظروف التي سافر ومتى سافر ولا كم أقام هناك، إضافة إلى أنّه لا علم لنا ببعض شيوخه وهل عاش في مصر زمن "الخديوي إسماعيل" و"جمال الدين الأفغاني" والثورة العربية والاحتلال الانجليزي، أو كان قد عاش فيها بعد هاته الفترة، وماهي الظروف التي وظفته فيها السلطات الفرنسية في حين أنّها كانت تشك في كل من درس خارج الجزائر،[6] ورغم جهلنا بهذه الأمور إلاّ أنّنا نتفق على أنّ هذا العلامة استطاع أن ينشر العلم بين الناس رغم وضع البلاد الصعب آنذاك.[7]

---

[1] عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، (1400هـ/1980م)، ص323.

[2] ب عبد الرزاق: المرجع السابق، ص2.

[3] محمد بسكر: الإنتاج...، مج 2، ص286.

[4] مالك بن نبي: شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1968، ص24.

[5] سليمان الصيد: صالح...، ص51.

[6] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج8، دار الغرب الإسلامي، 1998، بيروت، ص118.

[7] كمال الدرع: الشيخ المولود بن الموهوب-مفتي قسنطينة-(حياته وأثاره)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015، ص104.

و كان له في الكتابة الكثير تنوّعت بين علم الكلام والتصوّف التي كانت لها الحظ الأوفر، فقد ردّ في رسائله أيضا على منتحلي التصوّف خاصة أدباء الشرف والانتساب إلى النبوة، حيث ظهر ذلك في حاشيته التي ألّفها على رحلة الشيخ " حسين الورتلاني" والتي انتقدها بعض الشيوخ المنتمين لبعض الطرق،[1] وذلك لأنّه فرّق في كتاباته بين الطائعين منهم والعصاة، ونفهم من هجوم "عاشور الحنفي" أنه فرضت الإقامة الجبرية عليه، في حين أنّ " ابن مهنا" أوقف عن عمله عام 1905 هذا ما أدلّت به جريدة الأخبار.[2]

ونذكر أنّ الشيخ "عاشور الحنفي" كان من أشدّ خصوم " ابن مهنا" وذلك عائد إلى الآراء الإصلاحية التي قدّمها " ابن مهنا" والتي خلقت له الكثير من الانتقادات، وعرف عليه غلوه في مدح الأشراف وطعنة في دين الشيخ وعلمه، وقال عنه في مقدّمة كتابه: (تعليم الجاهل الصريف، وتنبيه الغافل الظريف، وتذكير العريف عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف وفي الرد على عدوّهم وهم الأزرق وحاسدهم الأخرق...).[3]

هذا وقد ركز الشيخ " ابن مهنا" على فكرة مفادها تجنب أي دخيل على الدين الإسلامي بعنف ومهاجمة المعتقدات الخرافية التي كانت تتبناها الزوايا والعلماء الذين كانوا يخدرون أفكار الشعب وعقله باسم الدين، وكان سلاحه في ذلك هو الإيمان بالله لا شريك له وحجته الكتاب والسنة، فاستطاع بهذا أن يدعو الناس بالرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيّنا الكريم صلّى الله عليه وسلّم، ومهّد الطريق لإخوانه العلماء المصلحين الذين قاموا بأعمال جليلة تدوّن في التاريخ،[4] وقد كان ضد الأشراف في كلّ أحوالهم وجعل العمل الصالح هو الركيزة الأولى ولم يكن مع المرابطين على ما همّوا عليه من استغلال للعامة وتنويمها، لكنّه وقف مع الزهد الذي يؤدّي إلى الإنتاج وخدمة الصالح العام،[5] كما تعرّض إلى تأليب السلطات الاستعمارية للناس عليه وتحريضهم لإيذائه فقامت بمصادرة مكتبته وتوقيفه كما ذكرنا سابقا لولا تدخّل المستشرق " البان روزي" لدى السلطات وطلب فكّه وإرجاع مكتبته، ولم ترفع الإدارة الاستعمارية أذاها عنه حتى وجد نفسه في محن أخرى مع أبناء بلده أمثال " عاشور الخنقي" الذي تمّ ذكره سابقا، بالإضافة إلى طرقيون من المغرب مثل: (المهدي الوزاني، محمد العابد بن سودة، عبد السلام عمراني) وغيرهم من أصحاب الطريقة.[6]

مقابل هذا اتجه الشيخ " محمد بن عبد الرحمان الديسي" الذي اطّلع على آراء " عاشور الخنقي" في كتابه المذكور سابقا الذي رأى منه غلوا وتطرفا فردّ عليه برسالة سماها " هدم المنار وكشف العوار" دافع فيها عن آراء " ابن مهنا"، وممّا جاء فيها: "وقد وقفنا على كلام ابن مهنا الذي تحامل عليه هذا التحامل، فما رأينا

---

[1] محمد بسكر: الإنتاج المعرفي لمدينة قسنطينة ما بعد دولة الموحدين، معالمه وأعلامه، مج3، دار دادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص286.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج8، ص118- 119.

[3] محمد بسكر: الإنتاج ...، مج3، ص287- 288.

[4] سليمان الصيد: صالح...، ص23.

[5] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج8، ص119- 120.

[6] عبد الرزاق: المرجع السابق، ص3.

فيه إلاّ نصح الأشراف وحضهم على الأعمال وتحذيرهم من الاغترار والاتكال، وفي رسالة جمعها من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة الآمرة الناهية وما تنقصهم بشيء ممّا تقوله عليه هذا المهذار والطاعن المعثار" [1]

كما توسعت دائرة النقد التي تعرّض لها الشيخ " ابن مهنا" فقد ردّ عليه شخص مجهول مغاربي " بكشف النقاب في الرد على الوسلاني الكذاب" وطبع طبعة حجرية في 28 صفحة ومما جاء فيه: (ولم ينفع شرفه أبويه، ثم جعل حاشية الزور والبهتان على رحلة الشيخ " سيدي الحسين الورتلاني" يتوصل بها إلى الوقوع في أعراض الناس فسب فيها جميع الناس ثمّ لما رفع أمره إلى الدولة قلمت بإبعاده عن الوظيف، ثمّ التبس طريق الكذب والزور والبهتان والتلبيس وأوقع الفتنة في الملك وليس له وجهة في ذلك من جهة الشرع)،[2] كما انتقده الشيخ " الوزاني" في حاشيته " على نزهة الأنظار" خاصة في المقالة الثالثة في انتقاد علماء المغرب، وقد عرض رسالة "الوزاني" وأثنى عليها بعض علماء المغرب،[3] وعند عودتنا لشيوخ بن مهنا ومنابع علمه وجدنا **أن** الشيخ " صالح بن مهنا" تتلمذ على يد عدد كبير من المشايخ الواردة أسمائهم كالتالي:

- الشيخ الجربي المالكي: هو عالم فاضل متمكّن في الفقه، توفي سنة 1836.
- الشيخ قابادو التونسي (1230-1288هـ/1815-1871م): هو محمود بن محمد بن عمر قابادو الشريف، أصل سلفه من الأندلس من بين الذين وفدوا على تونس في عهد "عثمان باي" سنة 1607، دخل الكتّب لحفظ القرآن ومبادئ اللغة والفقه.[4]
- الشيخ صالح النيفر: درس عليه بجامع الزيتونة سنة 1856 وروي عنه سند التونسيين في مذهب الإمام مالك – رضي الله عنه- ، كما روى سند المصريين في هذا المذهب عن طريق شيخه " الشيخ عليش"
- الشيخ المازري: درس بجامع الزيتونة وهو أبو عبد الله محمد بن الطاهر المازري، توفي يوم 8 رجب 1284هـ/1867م.
- الشيخ عاشور الساحلي التونسي: هو رجل صالح متدين درس بجامع الزيتونة.[5]

---

[1] محمد بسكر: الإنتاج...، مج3، ص288.

[2] سليمان الصيد: صالح...، ص117.

[3] محمد بسكر: الإنتاج...، مج3، ص290-291.

[4] محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ج4، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985، ص41.

[5] سليمان الصيد: صالح...، ص42.

- الشيخ إبراهيم الباجوري الأزهري: هو الإمام شيخ الجامع الأزهر الشريف، اسمه إبراهيم ولقبه برهان الدين وكنيته أبو إسحاق وهو من مواليد 1198هـ، ينتسب إلى باجور وهي قرية بمصر، درس القرآن على يد والده وتعلّم العلوم النقلية والعقلية ومنذ نشأته وهو مشغول بطلب العلم ونشره.[1]
- الشيخ مصطفى العروسي: ولد بالقاهرة سنة 1798، حفظ القرآن على يد أبيه والتحق بالأزهر وتعلّم مختلف العلوم، تقلّد مشيخة الأزهر بعد ما توفي الباجوري، كما كان مشهورا بالدقة والالتزام وقوة في الشخصية والنظام وأبطل العديد من البدع والخرافات، توفي عام 1876م ولم تذكر المصادر أين دفن،[2] إلى غير ذلك من شيوخه الأجلاء الذين نهل من عندهم مختلف العلوم واعترف من مناهلهم العذبة الصافية،[3] كما قد تخرّج على يده جملة من العلماء نذكرهم كالتالي:
- عبد المجيد بن بريك بن الحاج حم بستانجي: المولود بقسنطينة عام 1300هـ/1882م، تتلمذ على يد " ابن مهنا" وكان ملازما له وجلّ كتب الشيخ مرّت على يده والتي نسخها نسخ صحيح يدل على معرفة ودراية منها ما هو مطبوع وما هو مخطوط، كان " بستانجي" من أحسن تلامذته فضلا وعلما وتقيا فقد وقف بجانبه في محنه الصعبة الخطيرة، كان له اتصال بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة ورجال الإصلاح.[4]
- الشيخ رودسلي عبد الكريم بن عمر بن العربي:[5] المولود بقسنطينة سنة 1867، كان من بين الذين ينسخون كتب الشيخ " ابن مهنا" ناصر أستاذه بالرد على خصومه، توفي سنة 1908 في حياة شيخه " ابن مهنا".[6]
- الشيخ بهناس المختار بن صالح: ولد هو الأخر بقسنطينة عام 1860 كان يسكن في الجبابسة ضواحي المدينة، وكان يأخذ من أستاذه "بن مهنا" زمن الصيف وقيل أنّه بعد وفاة شيخه هو من تولّى أو تكلّف بأسرته مادياً ومعنويا، وهناك تلاميذ آخرين لا يعرف عنهم إلاّ القليل.[7]

---

[1] علي زين العابدين الحسين سيد أحمد زايد وآخرون: جهود شيخ الأزهر إبراهيم الباجوري في خدمة المذهب الشافعي، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصيصية، جامعة ملايا، كرالالمبور، ع2، أفريل 2018، ص119.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي علي صبح: الأزهر في ألف عام، ط3، ج2، المكتبة الأثرية للتراث، القاهرة، 2011، ص65، 70.

[3] سليمان الصيد: صالح...، ص42، 47.

[4] المرجع نفسه، ص57، 59.

[5] عبد الرزاق: المرجع السابق، ص3.

[6] سليمان الصيد: صالح...، ص60-61.

[7] المرجع نفسه، ص65، 67.

ج- كتب الشيخ صالح بن مهنا:

الكتب المخطوطة:	**الكتب المطبوعة:**
شرح نظم الأسماء الحسنى المسمى "بالدرر الأسمى في بيان معاني نظم الأسماء. *كتاب شرح ابن عاشر. *كتاب السر المصون على الجوهر المكنون. *كتاب أقرب الوسائل في الصلاة على النبي وجمع الشمائل. *كتاب شبيه المغتربين والرد على إخوان الشياطين. *كتاب مولد النبي صلى الله عليه وسلّم. *كتاب القول السديد على متن القصيد في علم التوحيد. *كتاب الفتوحات الأزهرية في الخطب المنبرية الجمعية. *كتاب فتح الفتاح القدير. *تكملة مختصر الشيخ عبد الرحمان الأخضري. *مختصر الترغيب والترهيب. *بالإضافة إلى كتب أخرى يطول ذكرها تحدّث عنها " سليمان الصيد".	*حاشيته وتعليقه على رحلة الشيخ الحسين الورتلاني " نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار". *فتح كتاب الرحيم الرحمان بشرح نصيحة الإخوان. *كتاب مناسك الحج. كتاب الفتح الرباني في الرد على المهدي المغربي الوزاني. *كتاب- رسالة لطيفة تسمى " إظهار الحق في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنساوية".

- الجدول من إعداد الطالبة

ثانيا: عبد القادر المجاوي (1848- 1913م/1264- 1332هـ):

أ-المولد والنشأة:

ينسب الشيخ المجاوي إلى قبيلة مجاورة والتي يقال أنّها استوطنت في الجهة الغربية من المنطقة الحدودية الجزائرية المغربية، وبالضبط في تلمسان، حيث شهد العلامة معاناة أسلافه بالحروب الاستعمارية،[1]

وهو عبد القادر ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان الملقب بالمجاوي، ولد بطنجة عام 1848 التي كان والده قاضيا بها،[2] عائلته بالمكانة العلمية الرفيعة، فأبوه هو الشيخ عبد الله محمد المجاوي الحسيني المولود بتلمسان عام 1208هـ بالتقريب، ظلّ في مهنة القضاء لمدة 25 سنة، واختير أيضا من قبل جامع القرويين وذلك للتدريس به، وأيضا توليه منصب القضاء بطنجة وغيرها، كان ميالا للتصوّف واستمر في الخطابة والتدريس والقضاء إلى غاية وفاته في 13 رجب 1267هـ فتبعه في طريقه للعلم ولده ليصبح عالما مصلحا ذو شأن عظيم،[3] ولكن عند العودة إلى نسبه وجدنا أنّه رغم غرس ثقافته بأوساط الجزائريين وأصوله الجزائرية إلاّ أنّ هناك من المؤرخين ينسبونه إلى علماء المغرب وهذا ما فنّده الكثير، واعتبروا أنّ أصوله جزائرية أبا عن جد، وربما يعود تخمين القلّة بأنّه من علماء المغرب راجع إلى هجرة أسرته إلى هناك بعد سقوط تلمسان تحت يد الاحتلال الفرنسي، وهذه الهجرة للجزائريين إلى المغرب وحتى للمشرق متعارف عليها من طرف المؤرخين.[4]

ب-النشاط التعليمي والتربوي للشيخ المجاوي:

كان تعليمه في مدينة تلمسان وأغلب الظن أنّ أهله ساهموا في قسط كبير في تدريسه،[5] أمّا تعليمه الابتدائي والثانوي فواصله منتقلا بين المدن المغربية (تطوان- طنجة- فاس) وغيرها وختم رحلته بجامع القرويين فواصل التعليم في علوم الشريعة الإسلامية،[6] وبفضل جهوده ومدرسيه النجباء تمكّن المجاوي من الحصول على الإجازة وهي الشهادة التي تسمح له بالتدريس،[7] وبعد اجتيازه للابتدائية بجدارة والثانوية بامتياز في تطوان، التحق بجامع القرويين ليكمل تعليمه العالي وكان يستغل وقته في الحفظ والنشاط في تحصيل العلوم

---

[1] دويدة نفيسة: ملامح الريادة عند المجاوي، أعمال ملتقى وطني بتلمسان حول الشيخ عبد القادر المجاوي، ، 28-27 نوفمبر 2011، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ص12-14.

[2] نصر سلمان: المرجع السابق، ص216-217.

[3] دويدة نفيسة: المرجع السابق، ص14.

[4] مصطفى عبيد: الروافد الفكرية للشيخ عبد القادر المجاوي وأثرها في توجهه وجهوده من أجل نهضة الجزائر (1870-1914)، أصوات الشمال، مجلة عربية ثقافية اجتماعية شاملة، 22-3-2019، ص2.

[5] دريادي حميدة: الشيخ عبد القادر المجاوي ودوره في نهضة الجزائر الحديثة (1848-1914)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للآداب، بوزريعة، 2011-2012، ص40.

[6] دويدة نفيسة: المرجع السابق، ص13.

[7] سومية أولمان: دور الشيخ المجاوي عبد القادر وكتابه إرشاد المتعلمين في الصمود الفكري بالجزائر(د د، د ب، د س)ص15.

المختلفة التي لم يشغله عنها شاغل،[1] وعندما أنهى المجاوي تعليمه عاد إلى الجزائر وعمره 22 سنة وأقام بقسنطينة سنة 1869 ومارس فيها التدريس وذلك في مساجدها وزواياها، فشغل مدرسا بجامع الكتاني رفقة تلميذه حمدان "لونيسي" سنة 1877،[2] فتولى في ذلك تدريس العلوم الشرعية واللغة العربية بالمدرسة الكتانية،[3] فظلّ في المدينة وتزوج وأنجب منها، وبدأ مسيرته بتعليم الأطفال في محل مجهول الاسم وبعد تدريسه بمساجد المدينة عينته الحكومة الفرنسية واعظا بالجامع الكتاني فاستقطب بذلك العلماء وأظهر كفاءته في المجال...

وبعد ما ذاع صيته بالمنطقة توجهت الأنظار إليه وأقبل الناس نحوه، فأراد المستعمر أن يقيده بالوظيف فعيّن بالمدرسة الكتانية كما ذكرنا سابقا فكان جهده وعمله يعتبر جهادا وعبادة،[4] فمنذ وصوله إلى مدينة الجسور خصص معظم وقته للتعليم فيناقش الطلبة ويجادلهم، كما خطب في مساجد الأحياء الشعبية والتي لم يسعفها الحظ في الالتحاق بالمدرسة،[5] ومن مدينة الجسور انتقل المجاوي إلى الجزائر العاصمة لمواصلة نشاطه العلمي التعليمي الرسمي في المدرسة الفرنسية الإسلامية أوّلا، بعدها في الثعالبية سنة 1905 وتطوع بمساجدها ونواديها.[6]

ويمكن القول أنّ المجاوي استطاع أن يقيم توازنا خفيّا في المدرسة الكتانية ضد الاستشراق الذي كان ضاربا وبقوّة بها والمدعم من الإدارة الاستعمارية وذلك بحكم قرب المدرسة من دوائر السلطة الحاكمة في مدينة الجزائر،[7] وقد سمي إماما خطيبا بجامع سيدي رمضان بالعاصمة فنشط في محاربة البدع والخرافات والدعوة للنهوض العلمي،[8]) إضافة إلى كون الشيخ المجاوي مصلحا تقليديا سلفيا، لم يأت بجديد سوى مقاومة البدع وإشعار المجتمع بساعة الخطر وهذا ما أدّى به إلى ملاقاة مقاومات صعبة من السلطة الاستعمارية التي تبعت تنقله من مكان إلى آخر.[9]

بالإضافة إلى ذلك أنّ المجاوي تأثّر كثيرا بأوضاع الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي حيث اصطدم بواقع مؤلم استفحلت فيه الأمية والجهل، فعزمت هذه الشخصية على مساعدة بني وطنها بالعلم والقلم والدفاع

---

(1) دريادي حميدة: المرجع السابق، ص41.

(2) لعمامري عقيلة: العلامة الشيخ عبد القادر المجاوي من رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص48.

(3) مولود عويمر: الشيخ عبد القادر المجاوي(1848-1913)، (د د، د ب، د س)، ص

(4) محمد السعيد قاصري: المرجع السابق، ص165.

(5) سومية أولمان: المرجع السابق: ص18.

(6) حسني بليل: الشيخ عبد القادر المجاوي التلمساني (1264-1332هـ/1848-1914م)، مجلة العصور الجديدة، ع2، 2011، ص272.

(7) سليم أوفة: الشيخ عبد القادر مجاوي وإسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة (1848- 1914)، قضايا تاريخية، ع1، 2016، ص70.

(8) خير الدين شترة: المرجع السابق، ص80.

(9) عمار الطالبي: آثار ابن باديس، مج1، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968، ص24- 25.

عن العقيدة والدين بكلّ الوسائل المتاحة،[1] فانطلق المجاوي بمنهج أنّ الأمة التي تفقد دينها ولغتها وثقافتها تفقد روحها فلن تبقى أمة مصيرها الانهيار والهلاك، بينما الأمة التي تحافظ على دينها ولغتها وثقافتها تبقى الحياة تسكنها وقلبها يخفق وتستعيد مجسدها وكرامتها.[2]

إنّ كلّ ما قام به الشيخ المجاوي يؤكد لنا حرصه على العلوم ورفع مكانة العلم والحث على تحصيله في كلّ مجالسه ودروسه وكتاباته، مستشهدا في ذلك من القرآن الكريم والحديث الشريف.[3]

كما ركّز المجاوي في عمله التربوي على عاملين أساسين هما التربية والتعليم، والوعظ والإرشاد، وقد بيّن لنا دوره في نشر العلم في منطقة قسنطينة التي بدأ فيها التدريس كونها الأكثر استعدادا من غيرها لتقبل العمل الاصطلاحي نظرا لكونها نشيطة الحركة الفكرية الجزائرية إذ ركّز في ذلك على كل ما فيه خير وصلاح محاولا إرشاد الجاهل وإصلاح النفس وتهذيبها.[4]

ومشروع الشيخ المجاوي لم يكن تعليميا فقط بل كان صاحب مشروع إصلاحي كذلك، فبعد رحلة الحج التي قام بها والتي زادته وعيا إلى وعيه وإيمانا إلى إيمانه، دعى إلى وجوب تنسيق الجهود الإصلاحية،[5] وكما حثّ أيضا على الهم لتحقيق شروط النهضة العلمية وإصلاحا للمجتمع بكفيه العلمي والتربوي، وذلك للتخلص من الشرخ العميق الذي أحدثه المستعر في المجتمع الجزائري،[6] فأسهم بذلك في تنشيط الحركة التعليمية في العاصمة وقسنطينة، كما كان له الأثر الكبير في النشاط الفكري والثقافي حيث وصل إلى قمة شهرته حتى لقّب بـ: "شيخ الجماعة" نظرا لسعة معارفه، كم أطلق البعض على فترة نشاط المجاوي باسم "الدور المجاوي" نظرا لشهرته الواسعة.[7]

---

[1] دريادي حميدة: المرجع السابق، ص63.

[2] سومية أولمان: المرجع السابق، ص35.

[3] دريادي حميدة: المرجع السابق، ص63.

[4] لعماري عقيلة: المرجع السابق، ص74-75.

[5] خير الدين شترة: المرجع السابق، ص80.

[6] محمد بسكر: الإنتاج...، مج2، ص179.

[7] دريادي حميدة: المرجع السابق، ص81.

بالإضافة إلى ذلك كان المجاوي غيورا على الدين الإسلامي واللغة العربية، شجاعا صريحا لا يهاب ولا يعرف الخوف، امتاز بصفة الوعظ والإرشاد فراح يتأجّج غيظا وعداوة للاستعمار الفرنسي وذلك في دروسه التي حرص فيها على النهوض بالعقيدة والتربية الدينية الصحيحة، وإصلاح المجتمع من العصبية المذهبية والجنسية التي زرعها الجهل وأنعشها الاستعمار.[1]

والواضح جليا هو تخوف السلطات الاستعمارية من المجاوي وهذا ما يفسره انتقاله من قسنطينة إلى العاصمة تحت حجة الوظيف التي تحدثنا عنها سابقا، ولكن هذا لم ينقص من عزيمته وزاده تصميما وعزما فشارك معاصريه للمبادرة في رفع المظالم على الشعب الجزائري.[2] كما تعرّض الشيخ المجاوي إلى تصدّي بارز وهو محاربة التجنيس والتفرنس والاندماج والإلحاد، ولعلّ أهمّ ما قاله في هذا الصدد: "أعلم أنّ اللغة العربية هي أقدم لغات العلم المستعملة الآن فهي أفصح اللغات منطقا وبيانا وأكثرها استعمالا في أساليب الكلام وتفنّنا في النثر والنظام"، وكان هذا في صياغ ضرورة الاعتزاز باللغة العربية. أمّا عن إلحاحه على العلم قال: " ولقد ساءني ما رأيت في هذا الزمان من فتور المعلمين والمتعلمين، حتّى أنّ أهل قطرنا من إخواننا المسلمين القسنطينيين والجزائريين والوهرانيين قد تراكم عليهم الجهل..." [3] ونضيف إلى ما قلناه سابقا أنّ الدكتور أبو القاسم سعد **الله** يذهب إلى تفسير نقل الشيخ المجاوي من قسنطينة إلى العاصمة كون سياسة فرنسا التي كانت تتبعها مع المصلحين والعلماء تتطلّب منها ذلك.[4]

1- دور الشيخ المجاوي في التأليف والإصلاح الديني والاجتماعي:

دعا المجاوي إلى النهضة بالمرأة الجزائرية باعتبارها قسيم الرجل في تربيته الأجيال، وأشار إلى ذلك في شرحه بمنظومة البدع: " وقد ضرب بعضهم لذلك مثلا فعالا علّم المرأة الجزائرية علما نافعا صحيحا أودعها على سذاجتها، فلأن تبقى المرأة جاهلة خير من أن تتعلّم تعلّما ناقصا وتتربى تربية تافهة، فالمرأة التي تظل باقية على سذاجتها الأولى فلن تتلقى شيئا من مبادئ العلوم والفنون، ولم تمارس القراءة والكتابة قد يتيسر أن نقنعها بأنّها جاهلة، ثمّ نوصيها بلزوم الرجوع في تربية طفلها إلى رأي من هو أعرف منها بشؤون التربية... أمّا

---

[1] شعيب محمد المهدي بن علي: المرجع السابق، ص302.

[2] لعمامري عقيلة: المرجع السابق، ص83.

[3] سليم أوفة: المرجع السابق، ص71.

[4] خير الدين شترة، المرجع السابق، ص65.

التي تعلّمت تعلّما ناقصا... فإنّ هذه المرأة تصبح بهذا التعليم الناقص ذات عجب ولجاج فلا تعود تصغي لمشورة من هو أعلم منها، ولا تقف في إفساد تربية ابنها وتدبير منزلتها عند حد".[1]

كما أشاع الإصلاح الاجتماعي بكل زواياه وتجسد ذلك في دروسه في المساجد، وفي المدرسة الجزائرية الشرعية فأشاع العلم وثار على التخلف وانحراف العقيدة،[2] واستغل المناسبات الدينية كالأعياد للحد من الأفات الاجتماعية وأوكل المسؤولية للعلماء.[3]

2- نشاطه الصحفي وإنتاجه العلمي والمعرفي:

حاول المجاوي أن ينشر أفكاره الإصلاحية عبر الصحافة العربية، مع تجنب النشر في جريدة المباشر لسان حال إدارة الاستعمار- رغم صدورها باللغة العربية كما سبق له أن نشر في جريدة المنتخب القسنطينية سنة 1882،[4] حيث استغلّ العمل الصحفي عن طريق الجرائد والمجلات والنوادي الثقافية لأجل بث الوعي القومي وتحسيس الناس بما آل إليه وضعهم الاجتماعي، كما كانت له أيضا مشاركة في جريدة كوكب إفريقيا في الفترة الممتدة بين (1908-1909)، وكانت جل المواضيع التي عالجها في مختلف مقالاته إصلاحية في مجال العقيدة والعبادات،[5] بالإضافة إلى كتابته في صحيفة المغرب 1903، كما قام بنشر 12 مقالا في هذه الصحيفة و15 مقالا بجريدة كوكب إفريقيا، وعند الرجوع إلى مضمون هذه المقالات نجد أنّ جلّها كان موجّها ضد مشاكل الساعة التي يعاني منها المجتمع الجزائري، كالعادات القديمة ومحاربة الآفات الاجتماعية مناديا بالإصلاح الاجتماعي والتعليم واليقظة من البدع والخرافات. وقد ذكر الشيخ المجاوي في عديد المقالات التي كتبها في جريدتي " المغرب وكوكب إفريقيا" العاصمية والتي كانت حاملة لعناوين كانت جلها تمس الأخلاق وذكر في العرب الكثير، ومن بين أهم هاته المقالات نذكر: "الافتخار بالنفس والنسب، مشاهير العرب الذين تضرب بهم الأمثال، نظرة في الأخلاق، سلامة الانسان في حفظ اللسان" والتي صدرت معظمها في سنتي 1903-1909.[6]

---

[1] محمد بسكر: الإنتاج...، مج 2، ص282.

[2] الشيخ عبد القادر المجاوي: الدرر النحوية...، ص46.

[3] لعمامري عقيلة: المرجع السابق، ص 79.

[4] سليم أوفة: المرجع السابق، ص 72.

[5] خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 84.

[6] سليم أوفة: المرجع السابق، ص 73

4- مؤلفاته:

عنوان الكتاب	طبعته
كتيب المجاوي حول بداية النهضة الجزائرية	صدر سنة 1877 ونشر في القاهرة
منظومة في التوحيد	لا نعلم هل طبع أو لا وقد وضع تلميذه ابن الموهوب شروحاته
تحفة الأخبار في الحير والاختيار	عبارة عن مخطوطات ولا ندري إن طبعت أو لا، لكن هناك من يقول سنة 1915م
نزهة الطرق في المعاني والصرف	طبع في مطبعة فونطانية بالجزائر
الاقتصاد السياسي	طبع سنة 1904 في مطبعة فونطانية أيضا
شرح الجمل النحوية	طبع أيضا في مطبعة فونطانية
شرح شواهد ابن هاشم	طبع بقسنطينة
شرح منظومة ابن غازي في التوقيت	طبع بقسنطينة
الإفادة لمن يطلب الاستفادة	طبع في الجزائر سنة 1901
الدرر النحوية على المنظومة البشرية	طبع في مطبعة فونطانية
منظومة في الفلك	هي مخطوطة في حوالي 86 بيتا
نصحة الإخوان	شرح فيها قصيدة نظمها محمد النزلي في التصوّف وطبع شرحه في تونس 1913م
شرح الجمل المجردية	طبع بعنابة سنة 1894م وسبقه لشرحه عبد الكريم الفكون
الفريدة السنية في الأعمال الجيبية	وضع سنة1903م وهي عبارة عن رسالة في حوالي 85 صفحة، طبع على نفقة الإدارة الاستعمارية بمطبعة فونطانية
القواعد الكلامية	لعله آخر ما صدر قبل وفاته، طبع سنة 1911م بمطبعة فونتانة بالجزائر
اللمع في نظم البدع	طبع سنة 1912م وهي منظومة أخلاقية إصلاحية بمطبعة فونتانية أيضا
إرشاد المتعلمين	صدر هذا الكتاب بالقاهرة عام 1877 ولم يدخل للجزائر سوىنسخ قليلة، طبع بالمطبعة الوهبية

	بالقاهرة في 30 صفحة

- الجدول من إعداد الطالبة

5- شيوخ وتلاميذ الشيخ المجاوي: من بين شيوخه الذين انتهل منهم العلوم والمعارف ونذكر:

- الشيخ أبو العباس أحمد بن أحمد بناني المدعو " كلا ": هو الإمام والعلامة والمحقق والمحدث وشيخ المعقولية في عصره، البارز فيها على جميع أقرانه من أهل عصره، المحقق والمدقق[1] أبو العباس، توفي هذا العلامة في 8 جمادى الأولى عام 1306م.[2]
- أبو عبد الله محمد الصديق بن الهاشمي العلوي: هو الشرف الجليل الماجد الأصيل، الفقيه، المحدث، العلامة، ابن مولاي الهاشمي العلوي المدعزي، توفي بمراكش ودفن بضريح مولاي علي الشريف سنة 1279هـ.[3]
- أبو عبد الله محمد بن الواحد بن سودة المري: هو خطيب جامع الأندلس بفاس وهو علامة وأديب وفقيه، تفنّن في علم النحو وتوفي أواخر ذي القعدة عام 1299هـ.[4]
- أبو محمد جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي: هو الشيخ الوقور الذي سعى لنصرة الحق، وقد أبان الشيخ جعفر في فهرسته (أعلام الأئمة الأعلام وأسانيدها) ماله من المرويات وأسانيدها وهو مطبوع بفاس، تميز فيه بالتواضع والإنصاف وتنشيط العلم.[5]
- أبو العباس أحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج: ولد سنة 1235هـ كان عالما أديبا، حافظا محررا لبنا، ذا مروءة ومعرفة بنوادر التاريخ والأخبار وصناعة الإنشاء، ألّف عدّة تآليف من بينها (حاشية على المكودي على الألفية) و(حاشية على الأزهري على الأجرومية) اللتان وقع بهما النفع التام لدى الخام والعام، توفي رحمه الله عام 1316هـ بعد عصر يوم الاثنين 27 ذي الحجة، ودفن في الزاوية التي دفن فيها أخوه السابق.[6]
- الشيخ الحاج أبو العباس أحمد بن الطالب السودي المري: وهو بحر في العلوم العقلية والنقلية، هو أيضا شيخ الجماعة في المغرب، ولد عام 1241هـ وتوفي 1321هـ بفاس، وقد توسع في ترجمته عبد الرحمان بن زيدان في مؤلفه " إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار مكناس".[7]

---

[1] أحمد بن محمد ابن الخياط الزكاري الحسني: الفهرسة الكبرى والصغرى، تح محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت، 2003، ص164.

[2] حسين بليل: المرجع السابق، ص266.

[3] أحمد بن محمد بن الخيط الزكاري الحسين: المرجع السابق، ص153- 154.

[4] حسين بليل: المرجع السابق، ص267.

[5] محمد بن الحسن الحجوي: مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى، تح محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت، 2003، ص98- 99.

[6] محمد بن قاسم القادري: إتحاف أهل الدراية بما لي من الأسانيد والرواية، تح محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت، 2004، ص82.

[7] حسين بليل: المرجع السابق، ص267.

كما تخرّج على يد المجاوي جماعة من العلماء الأجلاء فازدادت بهم مناصب التدريس والإفتاء والقضاء، ومن بين هؤلاء العلماء الذين ذاع صيتهم نذكر:[1]

- حمدان بن أحمد لونيسي: وهو أحمد بن حمدان لونيسي ينسب إلى الطريقة التجانية سالكا منهجها، ويعتبر أحد شيوخ العلامة "ابن باديس"، وقد تتلمذ على يديه بجامع سيدي محمد النجار، إذ أخذ عليه مبادئ العربية والمعارف الإسلامية،[2] ولد بقسنطينة سنة 1856، وحضر دروس الشيخ المجاوي، عين مدرّسا بالجامع الكبير عام 1881 بقسنطينة، درس النحو والحساب والأدب العربي والفقه والتوحيد، ثم هاجر إلى المدينة المنورة مجاورا لها ومدرّسا للحديث بها إلى غاية وفاته عام 1920،[3] كما يمكن القول أنّه عاصر العديد من علماء وشيوخ قسنطينة وخارجها.[4]
- الشيخ بن محمود الجيباتني: هو من مشاهير قسنطينة وفقهائها، كان يدرس الفقه والتوحيد والعربية بسائر فنونها في مساجد المدينة وزواياها، حيث كان يدعو للتقوى والابتعاد عن الشبهات، توفي في عاشوراء (10 محرّم) من عام 1355هـ/1938م.[5]
- محمود بن دالي المشهور بكحول (1872-1936): درس في سيدي مسيد المدرسة الفرنسية الابتدائية، اشتغل محورا في جريدة المبشر بالعاصمة ولمّا أسست إدارة جونار جريدة " كوكب إفريقيا" سنة 1907 عهدت إليه بإدارة تحريرها، ثمّ أسس مع لويس بودي " التقويم الجزائري" والتي صدرت في سنوات (1911- 1912- 1913)، ولو استمر لكان أكبر موسوعة لأعلام الجزائر كما تولى التدريس في المدرسة الثعالبية وعهد إليه بالإمامة والفتوى بالجامع الكبير في الجزائر العاصمة، كما قد كرّمته فرنسا بوسام جوقة الشرف الفرنسي، أغتيل سنة 1936م واتهمت السلطات الفرنسية "الشيخ الطيب العقبي" بقتله واغتياله من أجل ذلك.[6]

ج- وفاته: جاء قسنطينة زائرا فوفاه أجله فيها يوم السبت 6 أكتوبر 1914م، في تلك البلدة التي أحبته كثيرا والتي تخرّج فيها على يده أعلام،[7] تواجد قبره على حافة طريق الوسط الذي يتوسط المقبرة على اليمين والمتجه والمتجه غربا، وقبله على بعد أمتار يوجد قبرا الشيخين المرحومين صالح بن مهنة وعاشور الخنقي اللذين كانا

---

[1] حمزة بوكوشة: شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي، أعمال ملتقى وطني بتلمسان حول الشيخ عبد القادر المجاوي، ، 28-27 نوفمبر 2011، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ص148.

[2] نصر سليمان: المرجع السابق، ص219.

[3] حسين بليل: المرجع السابق، 268.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج 3، المرجع السابق، ص132.

[5] كمال غربي: المرجع السابق، ص107.

[6] حسين بليل: المرجع السابق، ص268- 269.

[7] حمزة بوكوشة: المرجع السابق، ص 153.

متنافرين في الدنيا وشاء الله تعالى أن يتجاورا في الآخرة،[1] وقد ذكرت جريدة الفاروق (العدد 8/ أكتوبر 1914) تشييع جنازته، كما وجدنا أنّ الشيخ عبد الحميد بن باديس رثاه في قصيدة وقال:

ألا إنّ الدهر ذو فتكات وأنّا لنا طيه لعظات

له عصميات في النفوس بها الراسيات صرن منخفضات

وكم قد رماها فاصطبرنا لرميه إلى أن رمى بأعظم النكبات[2]

ويذكر ابن بوزيد أنّ إبراهيم اطفيش أخبره أنّ الشيخ المجاوي لم يمت ميتة طبيعية وإنّما مات مسموما، حيث تعاقبت زيارته لمدينة قسنطينة مع الاستعداد للحرب العالمية الأولى، فخافت فرنسا من استغلال العلماء في الجزائر لانشغالها بحربها وقيامهم بالتحريض على الثورة فسممت 13 عالما ومن بينهم الشيخ المجاوي، وبفقدانه حلّت على الجزائر نكبة كبرى وشيع جنازته الآلاف من الناس.[3]

ثالثا: المولود بن الموهوب (1863-1935)

أ-المولد والنشأة: هو المولود بن محمد بن الشيخ المدني الموهوب، وهو أحد أعيان مدينة قسنطينة وأحد علمائها البارزين في فترة النهضة الوطنية، وقد عاش في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر والثلث الأوّل من القرن العشرين، كان مدرّسا وفقيها ومفتيا وخطيبا وشاعرا وناثرا...،[4]ولد بقسنطينة وقضى حياته وتوفي بها،[5]وفي نسبه يمكن لنا أن نقول أنهّ محمد السعيد بن المدني بن مسعود بن محمد الوهاب، وجدّه السادس أبو عبد الله البركة الموهوب المدفون في إحدى القبائل الكبرى بزواوة جوار الشيخ أحمد بن العظيم من رجال الإصلاح الديني والاجتماعي البارزين في الجزائر،[6]وقد كانت أسرته معروفة بالعلم والدين والمكانة الاجتماعية، الاجتماعية، درس " المولود" في مسقط رأسه؛ أي بمدينة قسنطينة التي كانت من الحاضر العلمية عبر التاريخ الإسلامي حيث لقّبت بمدينة العلم والعلماء[7] كما نجد أنّ "بن الموهوب" قد حلّ مدرّسا بالمدرسة الكتانية عام 1895 محلّ شيخه " المجاوي"، في هذا الصدد يقول "إبراهيم بيوض": (وفي سنة 1895 نزل إلى ميدان

---

[1] حسين بليل: المرجع السابق، ص 277.

[2] حمزة بوكوشة: المرجع السابق، ص 153.

[3] دريادي حميدة: المرجع السابق، ص 56.

[4] أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص193.

[5] معجم البابطين: شعراء العربية في القرنين التاسع عشر و العشرين، مج17، الكويت، 2008.

[6] كمال الدرع: الشيخ...، ص60.

[7] كمال الدرع: ملخص من كتاب " المفتي القسنطيني والمصلح الاجتماعي الشيخ المولود بن الموهوب"، مجلة محكمة نصف سنوية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ع13، 1437هـ/2015م، الجزائر، ص167-168.

الإصلاح والتعليم بعدما أجازه المجاوي وعمره29 سنة فرشّحه للتعليم فيها فسمته الحكومة مدرّسا بها سنة 1895 وأسندت إليه دروسا في الفقه والعلوم العربية وفي التوحيد بعد ذلك، فقام بفنونه أحسن قيام وسرّبه الشيخ المجاوي... وقد حقّق آمال شيخه فيه).[1]

وعند رجوعنا إلى منبع علومه سنرجع إلى مدينة قسنطينة التي أخذ معارفه منها في المنقول والمعقول، وقد حضر دروس الشيخ "عبد الله الإمام الخطيب" بالجامع الأعظم بقسنطينة، وكان أيضا ملازما لكل دروس الشيخ " المجاوي" اثنا عشر سنة وفي هذه المدّة كان قد اعتزّ بغرس أخلاق الدين فيها وأورثت حب العلم،[2] كما تبوأ الشيخ المولود منصب رئيس الجمعية الخيرية بقسنطينة ومحاضرا في نادي صالح باي، ومدرسا بالجامع الكبير إضافة إلى وظائف دينية أخرى فكانت محاضراته تترجم وتنشر في الجريدة المحلية وكان محل تقدير من طرف النخبة الجزائرية المعاصرة،[3] ويذكر أيضا أن "بن الموهوب" قد تخرج من زاوية سيدي الشيخ الموهوب المتواجدة بقرية إيمولا ببلدية صدوق، والتي تعتبر من الزوايا العلمية في المنطقة وكانت تسمى أيضا زاوية شريف إيمولا، كما سكن أيضا في جبال البابور قبل أن ينتقل إلى قسنطينة، وكانت هذه الزواية تعارض دعوة المجاهد التي دعا إليها الشيخ محمد أمزيان الحداد سنة 1871. [4]

ب-الحياة العلمية للمولود بن الموهوب ومؤلفاته: وما ميز حياة المولود هو اعتناء والده به، فغرس فيه حب المعالي وعلو الهمة، وذلك باعتباره الابن الوحيد له، وبعد وفاة والده وهو في سن التاسعة من عمره اعتنت به والدته ولولا حرصها لما بلغ مرتبة العلماء،[5] وبعد وصوله لمرتبة العلماء لم يكتفي بل استطاع أن ينجب الكثير الكثير من التلاميذ النبغاء في العربية والدين فتقلدوا مناصب في القضاء والترجمة، متميزين عن تلاميذ المستعمرين بحب الوطن والغيرة على الدين واللغة، وهذا وحده كان أكبر انتصار على الفرنسيين،[6] وقد شغل وظائف عدة في مساره العلمي فإلى جانب توليه التدريس بالجامع الكبير شغل وظيفة الإفتاء المالكي التي أسندت إليه وذلك سنة 1326هـ/1908م، وجاء في هذا التعيين بعد وفاة المفتي الأوّل الشيخ "الطيب بن أوادفيل" الذي شغل هذا المنصب نحو ثلاثين سنة وكان أيضا إلى جانب توليه عضوا محاضرا في نادي صالح باي الثقافي كما ذكرنا سابقا ولي كذلك في مجلس الفقه الإسلامي،[7] وقد تأثر الشيخ ابن الموهوب ببعض علماء الإصلاح في المشرق وخاصة الشيخ محمد عبده شيخ الأزهر والمجدد الذي زار الجزائر سنة

---

[1] محمد السعيد قاصري: المرجع السابق، ص166.

[2] كمال غربي: المرجع السابق، ص98.

[3] أبو القاسم سعد الله: أبحاث...، ج2، ص195.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج3، ص190.

[5] كمال الدرع: الشيخ...، ص61.

[6] محمد السعيد قاصري: المرجع السابق، ص166.

[7] كمال غربي: المرجع السابق، ص99.

1322هـ/1903م، والذي زار قسنطينة فاستقبل من قبل علمائها ومنهم: الشيخ الموهوب الذي كان من معجبيه،[1] إضافة إلى تعداد وظائفه فقد كان أيضا يلقي دروس الوعظ في الجامع الأخضر ويلقي محاضرات في محاربة البدع،[2] وذلك ما ذكره مالك بن نبي حيث قال أن هذا الشيخ استطاع أن يجذب أفكارنا وعقولنا ويجدد الحركة التقليدية القديمة ويوجد في أرواحنا عناصر جديدة، كما أينعت ثمار أفكاره في الحركة الإصلاحية الناشئة في الجزائر.[3]

ويذكر أيضا أنّ مدينة قسنطينة أيام "بن الموهوب" كانت تعج بالنشاط، فقد استطاع أعيانها سنة 1891 أن يكتبوا عريضة تاريخية للسلطات الاستعمارية يطالبون فيها بأمور اقتصادية واجتماعية وثقافية وعلى رأسها احترام اللغة العربية والقضاء الإسلامي والعادات والتقاليد الوطنية و التعليم الإسلامي، ومن بين الذين وقعوا على هذه العريضة "عبد الكريم بن باشا تارزي" مفتي المذهب الحنفي، و"الطيب بن أوادفيل" مفتي المذهب المالكي، و"الشريفي بن باديس" قاضي مدينة قسنطينة إضافة إلى "محمود الشاذلي" مدير المدرسة الكتانية، و"المجاوي" و"لونيسي"، وأربعة من عائلة "بن الفكون" (شيخ الإسلام)" .... الخ.[4]

كما اختار المولود أن يدخل في صراع مع السلطة الاستعمارية بصورة مباشرة وذلك من خلال توسيع نشاطاته المختلفة في المساجد والنوادي وتوظيفه الرسمي من قبل الإدارة الاستعمارية جعلتها تتغاض عن نشاطاته الإصلاحي والتعليمي وترى أنه لا يشكل خطرا عليها.[5] غير أنّه كان لا يخوض في المناقشات التي تثار بين العلماء أو المثقفين على حد سواء في المسائل العلمية أو القضايا الوطنية، وربما يعود هذا إلى وظيفته المتمثلة في كونه مفتي للمدينة فهذا جعله متحفظا في كثير من الأمور.[6] وعند تتبعنا لمسيرة المفتي "ابن الموهوب" وجد أن هناك ضلال تعرض لها في حياته ويمكن إرجاعها إلى مصدرين أو عاملين أساسيين:

- كونه موظفا رسميا فكان بذلك مقيد الفكر بينما كان مصلحوا ما بعد الحرب العالمية الأولى طلقاء.
- كونه من خارج مدينة قسنطينة في حين اكتسبت عائلات المدينة الكبار لاسيما عائلة "ابن باديس" التي اعتبرت نفسها الأحق بالفتوى من العلماء الوافدين إليها.

ومن المعروف أيضا أن عائلة "ابن الفكون" تولت وظيفة الفتوى طيلة العهد العثماني، وهذا ما حاول الفرنسيون استغلاله وإرسال رجال السلك الديني إلى مناطق بعيدة عن أصولهم الترابية والاجتماعية،[7] ولكن رغم

---

[1] كمال الدرع: ملخص...، ص168.

[2] عادل نويهض: المرجع السابق، ص324.

[3] مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1404هـ/1984م، ص65.

[4] أبو القاسم سعد الله: أبحاث...، ج2، ص193.

[5] كمال الدرع: ملخص...، ص169.

[6] كمال الدرع: الشيخ...، ص105.

[7] أبو القاسم سعد الله: أبحاث...، ج2، ص195-196.

رغم كل العراقيل التي تعرض لها استطاع أن يضع حدا لأصحاب البدع والخرافات، وضل محاربا ومجاهدا في سبيل الله لمدة تقارب 40 سنة،[1] وكانت تجمعه علاقات مع العلماء البارزين في المدينة في تلك الفترة أمثال الصالح بن مهنا الذي كان معاصرا له، إلاّ أن المصادر لم تذكر طبيعة العلاقة بينهما، إضافة إلى علاقته مع "حمدان لونيسي" والتي تذكرها المصادر على أنها علاقة منافسة قوية وهذا الذي كان يشعره "المولود بن الموهوب" اتجاه "لونيسي" وربما بعد تعيينه رسميا مدرسا في أكبر مساجد المدينة، وأخيرا نتحدث على علاقته مع "عبد المجيد بوجمعة"، فذكر أيضا أنها علاقة منافسة بين الشيخين وذلك أيهم يكون أقرب إلى الإدارة لينال الحظ الأوفر.[2] ومن بين الشيوخ الذين أخذ زاده على أيديهم:

- والده الشيخ محمد السعيد: هو الشاعر والعالم والأديب، أخذ علمه من بني بزاز قرب بابور بناحية سطيف عن عمه الشيخ الحاج إبراهيم أحد تلامذة العلامة "الشيخ عليش" ومن عاصر من علماء الأزهر بمصر ولازمه سبع سنوات، تتلمذ على يد الشيخ "المكّي البوطالبي" شيخ المدرسة الكتانية، وناظرها الأديب الشاعر الشيخ "محمد الشادلي" فبرع في العلوم، وتولّى الشيخ "محمد السعيد" منصب القضاء في وادي العثمانية وكانت وفاته عام 1295هـ/1875م.[3]
- الشيخ محمد المكي بن الصحراوي: وهو صهره الذي بدأ معه بدروس في مقدمة ابن خلدون، حيث كان في هذه المرحلة نافرا نوعا ما، لكن فيما بعد ألم على العلم، عكف على حفظ بعض متون اللغة والفقه.
- الشيخ محمد الدراجي: بعد وفاة صهره أخذ عنه العلم وثابر على دروسه حتى صار له إلماما بالنحو، حفظ متون أخرى في فنون مختلفة.
- الشيخ عبد الله الإمام: خطيب بالجامع الكبير بقسنطينة، حضر دروسه وبقي تلميذه إلى غاية وفاته.[4]
- الشيخ محمد الشادلي القسنطيني: هو فقيه وأديب وقاضي جزائري ولد سنة 1807 ببلدة فج مزالة، من قبيلة " البازي الصحراوية " التي كانت تقيم غرب طولقة، ويذكر أنّ أسرة "الشاذلي" هاجرت من طولقة إلى قسنطينة أثناء حكم البازي " أحمد القلي"، كان أديبا بارعا له قصيدة في مدح مدينة قسنطينة وأهلها، عين مديرا لمدرسة سيدي الكتاني سنة 1850 وساعده في ذلك " المكي بوطالبي" رئيس مجلس إدارة المؤسسة، والشيخ "أحمد المبارك" صاحب كتاب تاريخ قسنطينة وقد حافظ على وظائفه إلى غاية وفاته

[1] كمال غربي: المرجع السابق، ص93-100.

[2] كمال الدرع: الشيخ...، ص106، 112.

[3] كمال غربي: المرجع السابق، ص98-99.

[4] محمد علي دبوز: نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص140

سنة 1877،[1] إضافة إلى شيخه "عبد القادر المجاوي" ...إلخ، وكان من أهم تلاميذه الشيخ العلامة "عبد الحميد بن باديس" الذي حضر بعض دروسه في الجامع الكبير ولعله تأثر بأفكاره الإصلاحية.[2]

وبعد ذكر أهم شيوخ المولود سنتطرق لأهم جهوده الإصلاحية والتي ظهرت في خطبه ومحاضراته، فكان شاهدا على ما يعانيه أهله وأبناء وطنه من بطش الاستعمار وجهل وفقر وظلم، وقد أعانته ثقافته المزدوجة بين العربية والفرنسية في ذلك، محاولا تغيير أوضاع مجتمعه، ومستغلا في ذلك وظيفته الرسمية، وجمع بين عدة خصائص ومميزات منها الواقعية، وحاول أن يشخص مواطن الداء ويصف العلاج لذلك مركزا في ذلك على أحكام الدين الإسلامي، مع تجنبه الصدام مع الإدارة الفرنسية،[3] وعند الرجوع إلى قائمة مؤلفاته نذكر منها:

- مختصر الكافي في العروض والقوافي.
- نظم شرح الكافي المسمى بـ " التبر الصافي"، وقد قام الشيخ "إبراهيم العوامر" بوضع شرح على هذه النظم سماه " مواهب الكافي على التبر الصافي".[4]
- شرح المنظومة الأجرومية: في التوحيد وآداب الطريق في التصوف، وهاجم فيه أصحاب البدع والخرافات[5]
- شرح منظومة التوحيد لشيخه عبد القادر المجاوي

وتعتبر قصيدة " المنصفة" أهم ما تركه الشيخ ابن الموهوب ويمكن اعتبارها بداية للشعر الإصلاحي في الجزائر دعا فيها إلى الخير والنهي عن الفساد وتطهير المجتمع من الخرافات والبدع،[6] كما كانت له مساهمات أخرى في الصحافة فقد نشط الحركة الأدبية إذ كتب الشعر والنثر في جريدة " كوكب إفريقية" وجريدة " المغرب"، وقد قام أحد علماء وادي سوف وهو " إبراهيم بن عامر" (العوامر) بتشطير نظم لابن الموهوب في ذم البدع.[7]

ب- وفاته: لقد توفي الشيخ المولود بن الموهوب عام 1939، فتأثر برحيله القطر الجزائري بأكمله، وحضر جنازته أدباء، علماء، أساتذة وأعيان، وقد شيّعت جنازته يوم الجمعة فحضرها كما قالت جريدة النجاح:" أئمة كثيرون وقضاة ومدرسون وأعيان وموظفون ومنهم الشيخ "الفقون" و"ابن الساسي" قاضي قسنطينة والسيد "ابن جامع" الأستاذ بالمدرسة، و"ابن عاشور" و" السيد أحمد الشريف"، و"مامي اسماعيل" محرر جريدة النجاح،

---

(5) عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص304-305.

(6) المرجع نفسه، ص380.

(1) كمال الدرع: ملخص...، ص174، 177.

(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ...، ج8، ص192.

(3) كمال غربي: المرجع السابق، ص99-100.

(4) كمال الدرع: ملخص...، ص178، 180.

(5) أبو القاسم سعد الله: أبحاث...، ج2، ص195.

والشيخ "ابن الزروق" الأستاذ بالمدرسة والذي ابنّه بكلمات بليغة ومؤثرة... وغيرهم،[1] وبعد وفاته خلفه في منصب الإفتاء صهره المرحوم الشيخ "عبد المجيد بن جامع"، والذي كان هو أيضا مدرسا بمدرسة قسنطينة وتوفي بها عام 1375هـ/1955م،[2] توفي "ابن الموهوب" بعد عمر طويل من العطاء والتضحية والجهد المتواصل، ودفن بمقبرة قسنطينة المركزية، وتأثرت بوفاته قسنطينة والجزائر بأكملها.[3]

رابعا: عبد الحميد بن باديس (1889-1940)

أ-المولد والنشأة: هو عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس، وينتهي نسبه إلى جده الأكبر "المعز بن باديسّ مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى التي خلفت دولة الأغالبة على مملكة القيروان،[4]هو من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام والزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ قيامها إلى غاية وفاته. وقد ولد هذا العلامة بمدينة قسنطينة لأسرة مشهورة بالعلم والثراء والجاه معروفة بالمدينة،[5] يوم الأربعاء 11 ربيع الثاني 1307هـ/ ديسمبر 1889م، على الساعة الرابعة بعد الظهر، اختار له والده منذ البداية دراسة العلوم الدينية والتخصص فيها، فحفظ القرآن الكريم وهو في سن الثالث عشر من عمره، تعلم اللغة العربية على يد علماء المدينة وشيوخها،[6] فنشأ "ابن باديس" بذلك في بيئة علمية متتلمذا على يد الشيخ أحمد أبو حمدان الونيسي فكان من أوائل الشيوخ الذين لهم أثر طيب في اتجاهه الديني فكان يوصيه بوصية" إقرأ العلم للعلم لا للوظيفة".[7]

كان "ابن باديس" هو البكر في عائلته حيث بدأ دروسه الأولى في مدينة قسنطينة -عاصمة الشرق الجزائري- فأوقف حياته كلها لبعث روح النهضة العربية الإسلامية في الجزائر الحديثة،[8] وبفضل والده الذي يكن له كل التقدير والامتنان، فهو من كبار الموظفين والوجهاء في قسنطينة وعضوا في المجلس الجزائري الأعلى، عرف دائما بدفاعه عن مطالب السكان المسلمين بالمدينة، فيقول عنه ابنه عبد الحميد:" إن الفضل

---

(6) محمد بسكر: الإنتاج...، مج3، ص205.

(1) شعيب بن علي محمد المهدي: المرجع السابق، ص315.

(2) كمال الدرع: الشيخ...، ص77.

(3) محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، منتدى سور الأزبكية، الجزائر، 2007، ص9.

(4) عادل نويهض: المرجع السابق، ص28.

(5) عبد العزيز فيلالي: جديدة عن جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس الدراسية، مؤسسة الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس، (د ب)، 2012، ص9-10.

(6) محمد بن محفوظ ابن مختار فال الشنقيطي: جواهر الدرر في نظم مبادئ أصول ابن باديس الأبر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426هـ/2005م، ص13.

(7) فهمي توفيق محمد مقبل: عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث (1307-1359هـ/1889-1940م)، (د د، د ب، د س)، ص9.

(8) عادل نويهض: المرجع السابق، ص29.

يرجع أولا إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشربا أرده وقاتني وأعاشني وبراني كالسهم وراثني وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا"،[1] ومما ذكره والده محمد المصطفى بن باديس، أنه أوصى ولده عبد الحميد منذ صغره بقوله: " يا عبد الحميد أنا أكفيك أمر الدنيا، أنفق عليك، وأقوم بكل أمورك ما طلبت شيئا إلا لبيت طلبك كلمح البصر، فاكفني أمر الآخرة، فكن الولد الصالح العالم الذي ألقي به وجه الله"،[2] فكان أول شيء قام به والده هو توجيه ولده إلى العليم والتربية الصحيحة بما يتوافق مع الكتاب والسنة، فعهد به للشيخ "محمد المداسي"[3] أشهر مقرئي قسنطينة، وذلك لتعليمه اللغة والقرآن الكريم، فرعاه هذا الشيخ حتى حفظ الكتاب، بعدها قدمه ليؤم الناس في صلاة التراويح بالجامع الكبير لمدة ثلاث سنوات،[4] انتقل الشيخ عبد الحميد إلى جامع الزيتونة ليواصل سلسلة علومه ومعارفه وذلك ما أوصى به "حمدان لونيسي" شيخ "ابن باديس" والده "محمد مصطفى"، وقد درس هناك من عام 1908 إلى 1912، وكان طموحا بأن يتفرغ للتدريس بقسنطينة ويعلم بتلك الحلقات العلمية التي شهدها في تونس والتي تفتح فيها على آفاق جديدة،[5] كما شارك "ابن باديس" أيضا في محاولة إصلاح التعليم في جامع الزيتونة وبعث باقتراح إلى اللجنة وضع مناهج الإصلاح التي شكلها الباي لسنة 1931 وتضمن الاقتراح خلاصة آرائه في التربية والتعليم.[6]

ب- مساره العلمي وأشغاله: عند عودة "ابن باديس" إلى الجزائر عام 1913 استقر في قسنطينة وشرع في العمل التربوي الذي صمم عليه، وهو إنقاذ أطفال المسلمين وشبانهم من هوة الجهل والتخلف، فبدأ بدروس للغار ثم الكبار، وقد كان المسجد في المدينة هو المركز الرئيسي لنشاطه ثم بعد تبلورت لديه فكرة إنشاء جمعية، ولكن

---

[1] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص10.

[2] هو أستاذ بن باديس ومعلمه شيخه ومرشده في الكتاب، فحفظ على يديه القرآن الكريم، كانت العلاقة بينهما متينة، كان يجمع في شخصه صورة للثقافة والحضارة وقيم المجتمع. ينظر: عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر(1913-1940)، دار الشهاب، بيروت، 1420هـ/1999م، ص84.

[3] عامر علي عرابي: الإمام عبد الحميد بن باديس ومهنجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1408-1409هـ، ص23-25.

[4] محمد الميلي: المرجع السابق، ص10.

[5] عمار طالبي: آثار...، مج1، ص111.

[6] محمد بن محفوظ بن المختار فال الشننقيطي: المرجع السابق، ص13.

لا يمكننا حصر نشاط الشيخ فقد كان متعددا واهتماماته كثيرة،[1] ولكن يمكن القول أنه ومنذ بداية مشواره ركز على العقيدة متمسكا بذلك بالكتاب الكريم والسنة الصحيحة، معتمدا بفهم السلف الصحيح لهما، وأجمل ما قال في إحدى رسالاته "... الواجب على كل مسلم في كل مكان وزمان أن يعتقد عقدا يشتر به قلبه، وتسكن له نفسه، وينشرح له صدره... كائنا ما كان، في كل زمان ومكان"،[2] ونضيف أن إبن باديس عمل في جلّ مساجد قسنطينة، فقد درس بالجامع الكبير، جامع سيدي قموش، سيدي عبد المؤمن، سيدي بومعزة ومدرسة جمعية التربية والتعليم، الجامع الأخضر وسيدي فتح الله...، وكل هذه المؤسسات لاتزال موجودة،[3] وقد اختار ابن قسنطينة مركزا لحراكه الثقافي وأساسا للنهضة الفكرية نتيجة كونها مسقط رأسه إضافة إلى أن معظم أهاليها يعظمون أسرته ويعتبرونها مثالا للعلم ومن البيوت العلمية المشهورة وبإعتبار أنّ المد الثقافي فيها لا نتقطع رغم تفاوت السنين والأزمات، ومقرا للنهضة الإصلاحية مع مطلع القرن العشرين والتي قادها "حمدان الونيسي" و"عبد القادر المجاوي" و"المولود بن الموهوب".[4]

إضافة إلى كون العلامة "ابن باديس" كان يعي كل الوعي ما يخبئه الاستعمار وما يخطط له من إلغاء للشخصية الوطنية الجزائرية وهويتها العربية الإسلامية، ولهذا قرّر أن يجعل الجمعية والمساجد في خدمة الإسلام واللغة العربية، وجعل مقره مدينة قسنطينة بعدما رفض كل المغريات التي قدمتها له فرنسا،[5] وكان أول أول عمل تربوي تعليمي سجله "ابن باديس" في قسنطينة سنة 1332هـ، هو تعليم صغار الكتاتيب الآيات القرآنية بعد خروجهم منها صباحا وعشية، ثم بعد بضع سنوات أسس مع جماعة من الفضلاء المتصلين به مكتبا للتعليم الابتدائي وذلك في مسجد سيدي بومعزة، ثم انتقل إلى نيابة الجمعية الخيرية الإسلامية التي تأسست سنة 1917، وقد كان أيضا يلقي دروسا للكبار في الجامع الكبير، حيث كان يدرس فيه الشقاء للقاضي عياض ولكن ما لبث أن منع من طرف مفتي المدينة الشيخ "المولود بن الموهوب".[6]

---

[1] الشيخ عبد الحميد بن باديس، مج1، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، 1430هـ/2009م، ص38-39.

[2] عمار طالبي: آثار بن باديس، مج1، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968، ص114.

[3] مراد مزغاش: جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر(1931-1954)، دار الهدى للنشر والتوزيع، (د ب، د س)، ص81.

[4] أعمال ندوة المجلس الأعلى للغة العربية: دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على اللغة العربية وأثره في الهوية اللغوية، ج1، منشورات المجلس، الجزائر، 2016، ص23، 25.

[5] عمار طالبي: آثار...، مج1، ص114-115.

ونجد من خلال دروسه في التفسير مفسرا ممتازا، وفي شرحه للحديث محدثا بصيرا، وفي الفقه فقيها من الطراز الأول، أما في العلوم اللغوية فأديبا، وهو فوق كل هذا مربيا ناجحا اهتم بعقل الطالب ونفسه وبدنه، يأخذ بيديه إلى المثل العليا، ومما يظهر جليا أنه وفي كتاباته الصحفية يمتاز بالوقار والهدوء والرزانة فيختار

الموضوع ويحدد المشكلة ويصف الدواء ويهتم بمصالح المسلمين، وكانت كل صحفه تطبع في مطبعة عربية أنشأها هو في قسنطينة تسمى المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة،[1] ويعتبر "ابن باديس" مدرسا ماهرا، فقد كان لا يكل ولا يمل، فيدرس بعد صلاة الفجر إلى صلاة العشاء ويعظ الناس في مسجده حيث درس في الجامع الأخضر بقسنطينة من سنة 1913 حتى لقي ربه، فأعتبر هذا المسجد مقرا له لنشر علمه وزاده وشاهدا على ما قدمه من إمكانيات في سبيل العلم،[2] وفي نفس السنة أي 1913 ارتحل "الإمام عبد الحميد" إلى الديار المقدسة لآداء الركن الأخير من أركان الإسلام، حيث التقى هناك بشيوخه وعلى رأسهم الشيخ حمدان الونيسي وكذلك عالم الهند الكبير الشيخ "حسين أحمد المدني"، كما التقى بالشيخ "البشير الإبراهيمي" حيث ألقى هناك دروسا عديدة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد ما طاف بلدانا عربية وعلى رأسها مصر وسوريا وعاد إلى[3] قسنطينة مسقط رأسه ونعني بالذكر أن التعليم في عهده بالمدينة كان لا يشمل إلا الكبار أمّا الصغار فإنهم كانوا يتعلمون القرآن فقط في الكتاتيب على طريقة المغاربة التي يذكرها ابن خلدون في مذكرته.[4]

مذكرته.[4]

ونذكر أن "ابن باديس" أشار إلى بداية الدروس العلمية الإسلامية بقسنطينة يوم السبت 2 رجب 1352هـ الموافق لـ 12 أكتوبر 1933، وقال: "إن الدروس تشمل التفسير للكتاب الحكيم وتجويده وعلى الحديث الشريف وعلى الفقه...، وأشار إلى أنها تعطى للطلبة المحتاجين إعانة من الخبز ويسكنون بعض المساجد ويجعل على كل جماعة من الطلبة عريف يضبط أمورهم ويراقب سيرتهم، ويشترط في كل تلميذ أن يكون حافظا للقرآن الكريم أو بعضه كربعه مثلا على الأقل، وأن لا يتجاوز سنه إذا كان مبتدءا لم تتقدم له القراءة خمسا وعشرين سنة، وأن يأتي إذا كان جديدا بالكتاب من كبير بيته أو عشيرته للتعريف به، وينبغي للطالب أن يأتي معه بفراشه وغطائه، فدعوا من فيهم استعدادا وعندهم رغبة إلى الإقبال على العلم والرحلة في سبيله والله نسأل لنا ولهم التيسير والتوفيق وعمل الخير لوجه الله، والسلام عليكم وبركاته..." [5]

---

[1] عامر علي عرابي: المرجع السابق، ص36،38.

[2] عبد الحميد بن باديس: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخير، جم تر: توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان، تعل: أحمد شمس الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، ص8.

[3] مصطفى محمد حميداتو: المرجع السابق، ص 65-66.

[4] عمار طالبي: آثار ...، مج1، ص115.

[5] عبد الرحمان شيبان: المرجع السابق، ص68.

لقد أعاد "عبد الحميد بن باديس" صياغة بناء الإنسان الجزائري عامة، والناشئة خاصة، من خلال دروس الوعظ والإرشاد،[1] وبعد ما اتخذ الجامع الأخضر مقرا لدعوته العلمية تمكن وبعد عدة سنوات من إنشاء مكتب كان بمثابة نواة للتعليم الابتدائي العربي، فوق مسجد سيدي بومعزة إلى أن نقله بعد ذلك إلى بناية الجمعية الخيرية الإسلامية. وحتى يعمم ابن باديس اتجاهه العربي الإسلامي الإصلاحي دعا إلى تأسيس جمعيات إصلاحية على غرار جمعية التربية والتعليم بقسنطينة،[2] وقد تأسست هذه الأخيرة وكما يقول شيخها: "عام 1940 رأيت أن أخطو بمكتب التعليم خطوة جديدة وأخرجه من مكتب جماعة إلى مدرسة جمعية، فحررت القانون الأساسي لجمعية التربية والتعليم الإسلامية وقدمته باسم الجماعة المؤسسة إلى الحكومة فوقع التصديق عليه"،[3] وكان تأسيسه لمثل هذه الجمعيات دليل واضح على ما كان يتسلح به من علم شرعي ، وشخصية الفذة مكنته من الإبحار ميادين مختلفة كالتربية والتعليم والإصلاح والثقافة والصحافة والسياسة، فكون له فلسفة خاصة جعلته مصلحا مجددا وداعية ديني منفتحا ومتسامحا ومحاربا للبدع والخرافات.[4]

إضافة إلى هذا أنه وضع اللبنة الأولى لتشكيل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فصاحب الفكرة في تأسيس هذه الجمعية عائد إلى "عبد الحميد بن باديس" وذلك في نظر جل المؤرخين، ويذكر محمد خير الدين أن الشيخ "ابن باديس" قد دعا إلى اجتماع عام 1928، وكانت دعوته موجهة إلى العلماء والطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي الذين فيهم المؤهلات العلمية لمثل هذا المشروع، وقد كان الاجتماع في مكتب "ابن باديس" المجاور لمسجد الأربعين شريفا بقسنطينة، وافتتح الجلسة بخطبة عرض فيها على وجه الإجمال والإيعاز خطوات فرنسا في طمس الدين واللغة والهوية والقومية وشخصية الجزائريين.[5]

واعتبرت هذه الجمعية هي أول جمعية تعنى بالتربية والتعليم ويرخص لها في مدينة قسنطينة، ويقول "ابن باديس" عن تأسيس الجمعية في 1930" رأيت أن أخطو بمكتب التعليم خطوة جديدة، وأخرجه من مكتب جماعة إلى مدرسة جمعية، فحررت القانون الأساسي لجمعية التربية والتعليم الإسلامية، وقدمته باسم الجماعة المؤسسة إلى الحكومة فوقع التصديق عليه"،[6] وبعد تأسيس الجمعية في 1931/5/5 بالجزائر، أنتخب "ابن باديس رئيسا لها طوال حياته، تقديرا لخدماته وجهوده وكفاءته،[7] وقد كانت من بين القضايا التي شغلت جمعية

---

[6] عبد الرشيد زروقة: المرجع السابق، ص100.

[1] محمد بهي الدين سالم: ابن باديس – فارس الإصلاح والتنوير–، دار الشروق، القاهرة، 1420هـ/1999، ص35.

[2] بدر حمد العازمي: تطبيقات التربية الإصلاحية في فكر الشيخ عبد الحميد بن باديس، كلية التربية الأساسية، الكويت، 2017، ص17.

[3] توفيق خلف ياسين: العوامل المؤثرة على الفكر السياسي للشيخ عبد الحميد بن باديس، مجلة سامراء، جامعة سامراء، مج9، ع33، أفريل 2013، ص39.

[4] نور الدين أبو لحية: جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما – دراسة علمية–، ط2، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الجزائر، 1437هـ/2016م، ص32–33.

[5] بدر حمد العازمي: المرجع السابق، ص17.

[6] عبد الحميد بن باديس: المرجع السابق، ص10.

العلماء هي قضية الإسلام والعروبة في الجزائر، والتي ظل الاستعمار يشكك في أصالتها، فكان "ابن باديس" على هذا الأساس يحاول في دروسه الربط فيها وفي كتاباته بين اللغة العربية والإسلام،[1] وسبق تأسيس الجمعية الاحتفالات المئوية لمرور قرن على احتلال الجزائر 1830-1930، فكان تأسيسها رد فعل حضاري لتحطيم مقولات المحتفلين بانتهاء الإسلام ولغته من الجزائر.[2]

وبعد عرضنا لأعمال "ابن باديس" في الجامع الأخضر وعرضنا إلى الجمعية الخيرية الإسلامية التي تحولت إلى مدرسة التربية والتعليم وقانونها الأساسي الذي حرره، انتقل من العمل الإصلاحي الجهادي المسجدي والمدرسي إلى مجال العمل الصحفي، باعتباره مدراس متنقلة، فأسس جريدة المنقد الأسبوعية في 11 ذي الحجة 1343هـ/جويلية 1925م، ويصدرها صبيحة كل خميس، وكانت تحمل ثلاث مبادئ: (المبدأ السياسي- المبدأ التهذيبي- المبدأ الإنتقادي)، ولكنها لم تعمر طويلا وأوقفتها الإدارة الاستعمارية بقرار تعسفي أصدرته في 29 أكتوبر 1925،[3] وأصبح "ابن باديس" بعد ذلك كل ما ذكر في جريدة المنتقد ووصفه بالشهيد، ولكن لم يتوقف وأصر على المواصلة بتشكيله لجريدة الشهاب التي صدرت سنة 1925، وكانت في بداية أمرها أسبوعية ثم تحولت من شهر فبراير سنة 1929 إلى مجلة شهرية، وعلّل "ابن باديس" سبب التحول إلى أزمة مالية، ويرى "تركي رابح" الأستاذ الباحث أن هذه الجريدة تعتبر ثالث مجلة في العالم العربي والإسلامي بعد " العروى الوثقى" "لجمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده"، و المنار " لرشيد رضا"، وقد استمرت في الصدور حتى سنة 1939، حيث أوقفها " ابن باديس" بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية، وحتى لا ترغمه فرنسا بكتابة ما يتناقض مع مبادئه.[4] إضافة إلى هذه الصحف، أصدر صحفا أخرى تدعو إلى الإصلاح الديني والاجتماعي عن طريق التربية والتعليم ومقاومة الاستعمار كالبصائر والشريعة المطهرة والسنة المحمدية، والصراط السوي التي أسسها "ابن باديس" بين(1351-1352هـ/1932-1933م) والتي لم تعمر وأغلقت بعد صدور القليل منها لعظيم تأثيرها.[5]

وتسلح بالمساجد المتواجدة بقسنطينة في ذلك حفاظا على المقومات الإسلامية، ومساجد المدينة في عهده لم تقتصر فقط على أداء الصلوات فقط بل كانت تعقد فيه حلقات العلم، وحلقات حفظ القرآن، حيث يرى "ابن باديس" أنّ كل العلوم التي تخدم الإنسان من جميع النواحي هي من علوم الإسلام ومن علوم المساجد، فحاول بذلك تطبيق كل ما يرضي الإسلام ويحافظ على الهوية الوطنية " بالجامع الأخضر" الذي كان يعظ فيه

---

[7] باي زكوب عبد العالي، وسوهيرين محمد صوليحين: الإمام المصلح عبد الحمي بن باديس حياته وجهوده التربوية، مجلة الإسلام في آسيا، الجامعة الإسلامية العلمية الماليزية، مج12، ع1، جوان 2015، ص147-148.

[1] عليوان أسعيد: المرجع السابق، ص337.

[2] عبد الرشيد زروقة: المرجع السابق، ص114.

[3] باي زكوب عبد العالي، وسوهيرين محمد صوليحين: المرجع السابق، ص135-136.

[4] فهمي توفيق محمد مقبل: المرجع السابق، ص21.

ويرشد،[1] وكانت من بين أهدافه التربوية تحقيق الحضارة ونهضتها الشاملة وقد قال في هذا الصياغ: " فإننا نربي – والحمد لله– تلامذتنا على القرآن الكريم ونوجه نفوسهم إلى القران من أول يوم وفي كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها"،[2] متّبعا في ذلك منهج الإصلاح والتغيير عن طريق المدارس والنوادي ودروس الحضارة الإسلامية وتفسير القرآن الكريم والحديث الشريف، والتي أخذ يلقيها متواصلة على طلابه ومديريه في كل من الجامع الكبير والجامع الأخضر في مدينته الأثيرة قسنطينة مسقط رأسه، مواصلا ليله ونهاره ببث روح النهضة العربية الإسلامية في المدينة، ووطنه الجزائر ككل داعيا إلى النهوض والتخلص من أنواع القهر وصنوف العذاب التي عاناها من المحتل الفرنسي والعزلة عن عالمه العربي الإسلامي.[3]

وبعد الجهود الإصلاحية التي قام بها "ابن باديس" والتي انطلقت من مسجده الكائن بقسنطينة (الجامع الأخضر)، والخطة الشاملة التي أعدها للنهضة بالجزائر ثقافيا ودينيا واجتماعيا وسياسيا، أصبح هذا الجامع مركزا لإشعاع فكري وإصلاحي وإسلامي ومكانا مميزا لتجديد الثقافة والحضارة الإسلامية وتراث الأمة، وصار مقرا مفضلا لتلقين الدين الصحيح والنهضة الاجتماعية،[4] وقد عرض بيانا عن الحركة العلمية بالجامع الأخضر ونفقاتها مضمونها:

– الطبقات: أربع

– عدد التلاميذ: نحو الثلاثمائة

– العلوم التي تقرأ: التفسير– الحديث– الفقه– الفرائض– العقائد– المواعظ– التجويد– الأصول– المنطق– النحو والصرف– البلاغة – الأدب– محفوظات ومطالعات– دراسات في الإنشاء– الحساب– الجغرافيا– التاريخ.

– الكتب المدروسة: الموطأ– أقرب المسالك– الرسالة ابن عاشر– البردوي– المفتاح– التنقيح– السلم– المكوى– القطر– الأجرومية– الزنجاني– اللامية– السعد– الجوهر المكنون– من ديوان الحماسة– أمالي القالى– من مقدمة ابن خلدون.

– المعلمون الشيوخ: عبد الحميد بن باديس– عبد الحميد بن الحيرش– حمزة بكوشة...

---

[5] باي زكوب عبد العالي وسوهيرين محمد صوليحين، المرجع السابق، ص139.

[1] عليوان أسعيد: فلسفة ابن باديس في الإصلاح، المفهوم، المجالات والوسائل، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، ع42، جوان 2017، ص330.

[2] فهمي توفيق محمد مقبل: المرجع السابق، ص7.

[3] عبد العزيز فيلالي: جديدة...، ص43.

– النفقة: لاتنقص يوميا عن ثلاثمائة فرنك مع الملحقات.[1]

وقد تتلمذ الشيخ " ابن باديس" على يد أكثر من 20 أستاذا من الجزائر وتونس ومصر:

- محمد النخلي القيرواني (1867–1924): تولى التدريس بالزيتونة، وهو من كبار شيوخها، درس فلسفة الأخلاق بالمدرسة الخلدونية، وهو من أهم أساتذة ابن باديس وزعيم النهضة الفكرية بتونس، درس التفسير فأثر فيه تأثيرا علميا كبيرا فكان يفتخر به، وله عدة مؤلفات في التفسير وغيره ولكن أغلبها لم ينشر.[2]
- محمد الطاهر بن عاشور: (1296–1394هـ/1879–1973م)، هو محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، درس علوم النحو والصرف والبلاغة والمنطق من جهة وعلوم المقاصد كتفسير القرآن والقراءات والحديث والكلام وأصول الفقه التحق عام 1893 بجامع الزيتونة لطلب العلم، وكانت المواد التي تدرس بهذا المعهد الديني متنوعة بين مقاصد ووسائل، درس بالجامع الأعظم نحو 60 عاما.[3]
- محمد العزيز الوزير: (1863–1938): تحصّل على شهادة التطويع من الزيتونة سنة 1907، وتولى التدريس بها عام 1910 أي السنة التي التحق فيها "الإمام ابن باديس"، تقلد مفتي المالكية وترأس مشيخة الزيتونة سنة 1943، ولقب بشيخ الإسلام المكي عام 1945، كما تولى وزارة العدل بتونس سنة 1947، توفي سنة 1970.[4]
- أبو الفضل الجيزاوي: هو محمد أبو الفضل الجيزاوي المولود في 1263هـ/1897م بقرية وراق الحضر– إحدى مدن محافظة الجيزة حاليا–، وقد نشأ على التربية الدينية، زاول التدريس بالجامع الأزهر، ترك العديد من الكتب منها الطراز الحديث وكتاب على شرح العضد وحاشيتي السعد والسيد

---

[4] عبد الرحمان شيبان: المرجع السابق، ص100.

[1] عبد العزيز فيلالي: جديدة...، المرجع السابق، ص68.

[2] محمد الحبيب بن خوجة: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425هـ/2004م، ص154–155.

[3] عبد العزيز فيلالي: جديدة...، ص69.

وتحقيقات شريفة، حاشية في أصول الفقه والكتب والتعليق على أوائل تفسير البيضاوي، وتوفي عام 1364هـ/ 1927م، لم يذكر مكان دفنه.[1]

حسين أحمد الفيض أبادي الهندي(1878-1957): ولد بالهند وحفظ القرآن الكريم، درس بالمسجد النبوي الشريف، لقب بخادم العلم بالمسجد، تولى مشيخة تدريس الحديث الشريف بجامعة " ديوبند"، كما عمل نائب رئيس جمعية العلماء بدلهي عاصمة الهند، أجاز الإمام ابن باديس إجازة عامة بالمدينة المنورة، توفي سنة 1957،[2] أما فيما يتعلق بتلاميذه فهم كثر، وسنكتفي في ذكر أثر تعليمه وتربيته لطلابه وتلاميذه بتلميذين هما " الشيخ مبارك الميلي" و" الشيخ الفضيل الورتلاني" وهما من أنجب تلاميذهم وأعظمهم.[3]

- الشيخ مبارك الميلي: ولد الشيخ محمد مبارك الميلي الهلالي في قرية أورما في الميلية حوالي 1898، وتيتم وهو في سن الرابعة من عمره، كفلته عائلة جده إلى أن بلغ سن العاشرة حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ "أحمد بن الطاهر مزهود"، وكان حفظه للقرين في أولاد مبارك، أظهر نبوغه منذ صغره وظل في مدرسة "الشيخ معنصر" بميلة 6 سنوات (1912-1918)، ثم توجه إلى قسنطينة للتعلم على يد ابن باديس، لا ندري متى توجه "الميلي" إلى تونس لمواصلة دراسته، وما نعلمه أنه نال شهادة التطويع ثم رجع إلى وطنه، تقلد نشاط الإصلاح والتأليف، فنشر مقالات عدة في جريدة البصائر التي نشرها فيما بعد في كتاب بعنوان (رسالة الترك و مظاهره)، تولى التدريس في الجامع الأخضر بعد وفاة ابن باديس إلى غاية وفاته 1945.[4]
- الشيخ الفضيل الورتلاني: وهو الفضيل حسين محمد السعيد ين محمد الشريف بن عبد القادر، ولد عام 1900 بقرية " أنو" التابعة لبني ورتلان التي ترتبط إداريا بولاية سطيف الجزائرية، ينحدر من أسرة عريقة، درس على يد الشيخ السعيد أبهول، أحد رجال الإصلاح من بني ورتلان ودرس على يده العلوم والمعارف الإسلامية، كان يدعو الورتلاني إلى الإصلاح والقضاء على العادات والتقاليد السيئة الدخيلة على الإسلام، سافر إلى مدينة قسنطينة لمواصلة تعليمه الثانوي في الجامع الأخضر، فجمعته الأقدار

---

[1] خالد أبو الروس: أبو الفضل الجيزاوي... مصلح الأزهر وأحد قادة ثورة 19، جريدة مصابيح النهار، القاهرة، ع2790، 12 جوان 2016، ص18.

[2] عبد العزيز فيلالي: جديدة...، ص68- 71.

[3] عامر علي العرابي: المرجع السابق، ص67.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830- 1954)، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص409- 413.

بالشيخ "ابن باديس"، وواصل دراسته في جامع الزيتونة عام 1933 واهتم بالإصلاح الفكري والتربوي وبالقضية الفلسطينية، ونشط أيضا في المجال الصحفي فسجّل حضورا في صحيفة السنة النبوية المحمدية وجريدة الشريعة النبوية.[1]

وما يمكننا أن نستخلصه من آثاره ما يلي:

1- تفسير ابن باديس في مجال التذكير طبع سنة 1964
2- من الهدى النبوي طبع سنة 1965
3- رجال السلف ونساءه طبع سنة 1965
4- عقيدة التوحيد من القرآن والسنة لم يطبع بعد
5- أحسن القصص لم يطبع بعد
6- رسالة في الأصول لم يطبع بعد
7- مجموعة كبيرة من المقالات السياسية والاجتماعية، جمعت مع بعض ما سبق وطبعت في كتاب.
8- مجموعة خطب ومقالات "ابن باديس"، طبعت في كتاب سنة 1966[2]

وقد طبعت وزارة الشؤون الدينية بالجزائر عام 1983، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، وله أيضا دروس في العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وهي التي ألقاها وجمعها تلميذه محمد الصالح، كما حقق كتاب (العواصم من القواسم) للإمام ابن العربي، وطبعه عام 1928.[3]

ج- وفاته: بعد حياة حافلة بالإنجازات العظيمة والتي دونها التاريخ توفي الشيخ بن باديس في 8 ربيع الأول 1359هـ الموافق لـ 16 أفريل 1940، وذلك إثر مرض قصير لم يطل في حين حامت الأقاويل حول وفاته فهناك من قال أنه مات مسموما، وفريق آخر يؤمن بأنه مات ميتة طبيعية،[4] وقد نعته الجزائر كلها، وحزن عليه محبوه، ودفن في مسقط رأسه أي المدينة التي ولد وكبر وتعلم فيها "قسنطينة"، وقد خرجت جماهيرها عن بكرة أبيها في وداعه، وفاء الرائد والمصلح والمعلم والمربي وداع حكيم وستبقى الذاكرة الجزائرية تذكره وتثني عليه وتمجد أعماله لحاضر ومستقبل أجيالها وشباب أمتنا الناهض ورصيد وقوة عدها العالمية.[5]

---

[5] شعبان حسين الله علوان الشمري: واجهات الفكر الدعوي الإصلاحي للشيخ الفضيل الورتلاني، مجلة كلية التربية الأساسية، مج20، ع82، ص378-483.

[1] عبد الحميد بن باديس: المرجع السابق، ص14.

[2] بدر حمد العازمي: المرجع السابق، ص16.

[3] عبد الحميد بن باديس: المرجع السابق، ص14-15.

[4] فمهي توفيق محمد مقبل: المرجع السابق، ص14-15.

وما يمكن أن نستنتجه من خلال دراسة النخب العلمية بمدينة قسنطينة أنّه ورغم طيلة فترة الاحتلال الفرنسي لها استطاعت المدينة بفضل هؤلاء أن تمثل الامتداد التعليمي الأصيل الموروث منذ عهود غابرة واستطاعت المحافظة على النمط التقليدي الذي كان معمول به عند الأسلاف وأن تخلق ثقافة تستطيع بها مواجهة كل أنواع التغريب التي كانت تفرضها السلطات الاستعمارية، من خلال أعمال هؤلاء التي تنوعت في مختلف العلوم والمعارف، فخلفوا بذلك تراثا فكريا هائلا موزعا في كل مكتبات العالم القديمة والحديثة، وهذا ما جعل الكثير منهم يصنف ضمن العلماء الموسوعيين، رغم أن الكثير منهم لم ينالوا حقهم في الذكر.

خاتمة

وبعد دراستي لموضوع مساجد قسنطينة ودورها في الحفاظ الهوية الوطنية مذ احتلالها سنة 1837، إلى غاية وفاة العلامة المصلح عبد الحميد باديس 1940، توصلت إلى جملة من المعارف عن مدينة الجسور المعلقة مفادها هو اعتبار هاته المدينة من أكبر العواصم الدينية الثقافية التي وقفت على أكبر الهياكل المعمارية ذات الطراز الرفيع وذات الهيكل المادي الثمين، وأنه وبفضل موقعها الفريد والاستراتيجي استطاعت أن تجمع بين المناظر السياحية المتنوعة والتي تجسدت في صور على متن صخور جعلتها في أحسن حلة، وأن تضم جملة من الأسواق العديدة والمختلفة ومجموعة الجسور العملاقة والتي لقبت عليها بمدينة الجسور المعلقة.

إضافة إلى أن شهرة هاته المدينة لم تكن حديثة بل كانت منذ عصور فارطة وقديمة تداولت عليها أمم سابقة وحملت بين ثناياها تسميات مختلفة جاءت متنوعة ولكل مصدرها وكان أشهرها (قيرطة- سيرتا- وقسنطينة)، هي مدينة كتب عنها الأدباء والشعراء وحتى الرحالة العرب والفرنسيين فكانت مصدر الهام لهم ولكتاباتهم، فكانوا يجدون ضالتهم بين كفي هاته المدينة الساحرة.

ونزيد عن كل هذا أن الأوضاع الثقافية التي كانت تعيشها قسنطينة أواخر العهد العثماني وغداة الاحتلال الفرنسي كانت أهم فترة مرت عبر تاريخ المدينة فعرفت تارة تذبذب إبان حكم العثمانيين وتارة ازدهار، ويمكن القول أن ذلك كان راجعا إلى طبيعة الحكام فمنهم من اهتم بالوضع الثقافي داخل المدينة فدعمه بإنشاء المساجد والزوايا والمدارس وهياكل متعلقة بالعلوم المتنوعة، وهناك فريق أخر من الحكام الذي لم يأبه لما كان يعيشه سكان المدينة من جهل وأمية وأمره مغلوب عليه وترك ذلك للعامة فمن أراد الوصول إلى العلم استطاع ولكن بصعوبة، كما وقد تعرفنا على أهم الفترات التي عاشت فيها هاته المدينة قفزة علمية لتضاهي بها دول المشرق وتكشف للاستعمار الفرنسي أنها لن تتخلى على أصولها ومقوماتها، فعمد شيوخ مساجدها وزواياها ومدرسيها الاستعانة بمؤسساتها الدينية والتعليمية لخلق جيل واعي محافظ لهويته ومتمسكا بها، فكان أهم تلك المؤسسات التعليمية "مدرستي سيدي الكتاني ومدرسة الجامع الأخضر" التي قامت بدورها على أكمل وجه فعملت على الإهتمام بالتدريس وتعليم الناشئة من سكان المدينة وذلك وفق معايير مضبوطة فرضها كل من أهل المدينة، والبعض كان مصادق عليها من طرف الإدارة الاستعمارية.

ونجد أنه وعلى الرغم مما عاشته مدينة قسنطينة من تهميش هي وأبناؤها إبان الاحتلال الفرنسي ونفي لعلمائها، إلا أنها استطاعت أن تكسب مكانة مرموقة بين المدن الجزائرية وتجعل صورتها تصل حتى إلى الفرنسيين أنفسهم، وتدلي برسالة مفادها أنه ورغم ما حل بها من خراب ودمار ستبقى صامدة رافضة للوضع

الذي حاولت فرنسا أن تخلقه لمحو الهوية وتجنيس للأمة الجزائرية المسلمة، وهذا كله عائد إلى وعي رجال المدينة وإدراكهم أن الهوية هي قوام الدولة، واستطاعت أن تدرك ذلك بجعل مساجدها دارا للعبادة وكسب العلوم والتقاء مشايخ المدينة للنقاش في الأوضاع السائدة آنذاك ومحاولة إيجاد وسائل بإمكانها أن تتخلص بها من التبعية الاستعمارية والتنوع في العلوم المقدمة من دين إلى لغة وفقه ونحو والاستعانة بكتب السابقين من أهل العلوم.

وبهذا نستنتج أن المساجد في قسنطينة ضمت ولعبت كل الأدوار فكانت بذلك المربي والمعلم والحريص على الاقتناء من أصول الدين والاستعانة بعلوم رجال الخلف، وقد اعتبر الجامع الكبير وجامع سوق الغزل وسيدي لخضر وسيدي الكتاني من أكبر المساجد في مدينة قسنطينة، فهذه المساجد لم تكن كغيرها بل لعبت دورا هاما في تاريخ المدينة واهتمام مؤسسيها بها جعلها من أكبر المساجد الجزائرية من حيث الطراز والمعمار، إضافة إلى كونها مساجد علمت وربت وأخرجت علماء في علوم عدة انتهل منهم الكبير والصغير، فكونت أجيالا يدافعون عن هويتهم ويحترمون تعاليم دينهم ومحافظين على ما ورثوه من قيم ومبادئ، ومن هنا يمكننا القول أن هاته الأخيرة (المساجد) مست الروح الثقافية والاجتماعية، السياسية والعسكرية بالمدينة، وعلى رأس كل هاته المحافظة على شيء واحد مهما اختلف الزمان والمكان، الحاكم والمحكوم وهو الحفاظ على الهوية الوطنية للمدينة وتراثها الموروث، هي مساجد استطاعت أن تخلد اسمها وتحتفظ بأصالتها وتكون خير مثال يعنى به في الهوية فهي لم تكن مجرد معلم أثري ولم يقتصر دورها في أداء الصلوات فقط كما ذكرنا سابقا، وبهذا استطاعت أن تلعب الدور الكبير في التاريخ القسنطيني وتدونه خير تدوين.

كما تخرج منها كبار العلماء الذين وصلت شهرتهم إلى باقي الدول العربية، فكانوا مثالا يقتدى بهم في الورع والهمة والأخلاق العالية والروح المتمسكة بدينها، رغم ما تعرضت له من مأساة في ضل الظروف التي عانتها المدينة فكانت بهذا شخصيات مرموقة حافظت على اسمها ودونته بالتاريخ وساهمت إلى حد كبير في رفع مأساة الجهل والأمية على سكان المدينة وحواضرها، وقد كان تمثيل هاته الرموز والإطارات في شخص "صالح بن مهنا وعبد القادر المجاوي والمولود بن الموهوب والإلمام عبد الحميد بن باديس" لا يعني تعميمها على علماء المدينة الآخرون كل بإسمه وكل بعلومه وزاده المدون في تاريخ المدينة، ولكن يمكن أن يشترك هؤلاء في شيء واحد وهو استسقاء جل العلوم بها بمساجدها.

الملاحق

الملحق رقم 01:

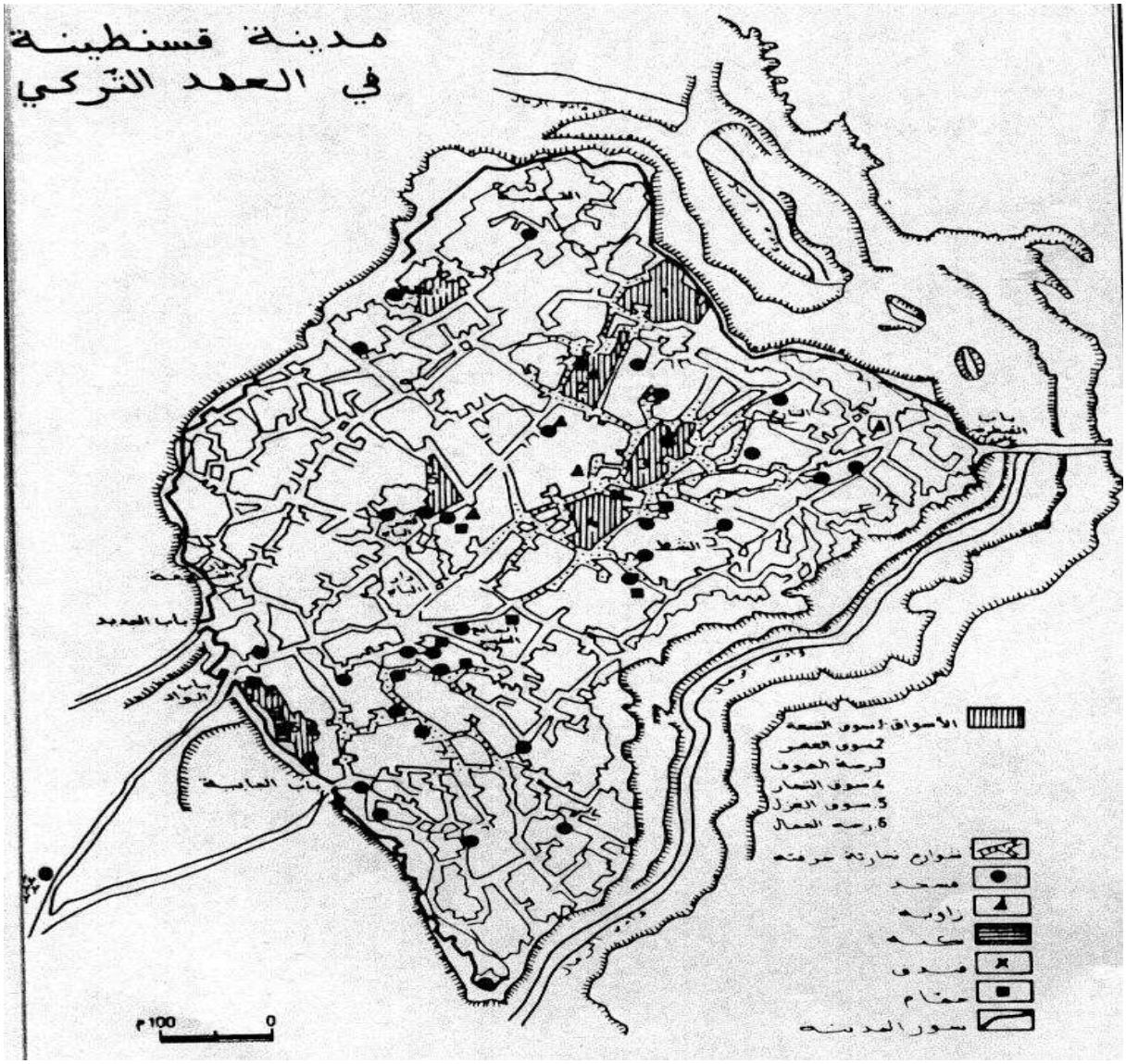

مدينة قسنطينة في العهد العثماني

المصدر: قماس زينب: المجمعات السكنية الحضرية بمدينة قسنطينة واقعها ومتطلبات تخطيطها (دراسة ميدانية للمنطقة السكنية الحضرية الجديدة)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الحضري، جامعة منتوري قسنطينة، 2005–2006، ص54.

ملحق رقم 02:

المدرسة الكتانية بعد تحويلها الى المدرسة الشرعية الفرنسية 1850

المصدر: قاصري محمد السعيد: المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، مجلة عصور جديدة، ع 18، أوت(1436هـ/2015م)، ص171.

ملحق رقم 03:

الجامع الكبير بقسنطينة

المصدر: عبد العزيز فيلالي: فيلالي عبد العزيز: جديدة عن جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس الدراسية، مؤسسة الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس، (د ب)، 2012، ص5.

ملحق رقم 04 :

جامع سوق الغزل

La sourse: Meriem Redjem: .. le role de la mosquee en algerie dans la configuaration de la ville a lepoque coloniale française, deparant darchitecture, op cit, p6.

ملحق رقم05:

سقف جامع سيدي لخضر في حالة ترميم

ملحق رقم06:

الكتابة التأسيسية لجامع سيدي لخضر

المصدر: من إعداد الطالبة.

الملحق رقم07:

جامع سيدي الكتاني

ملحق رقم08:

لوح تذكاري لجامع سيدي الكتاني

المصدر: من إعداد الطالبة.

ملحق رقم 09:

مسجد سيدي عفان

المصدر: بوخالفة عزي: قسنطينة قلعة النور الخالدة، تص مع: سليم نجاعي، (د د)، قسنطينة، 2015، ص 103.

ملحق رقم 10:

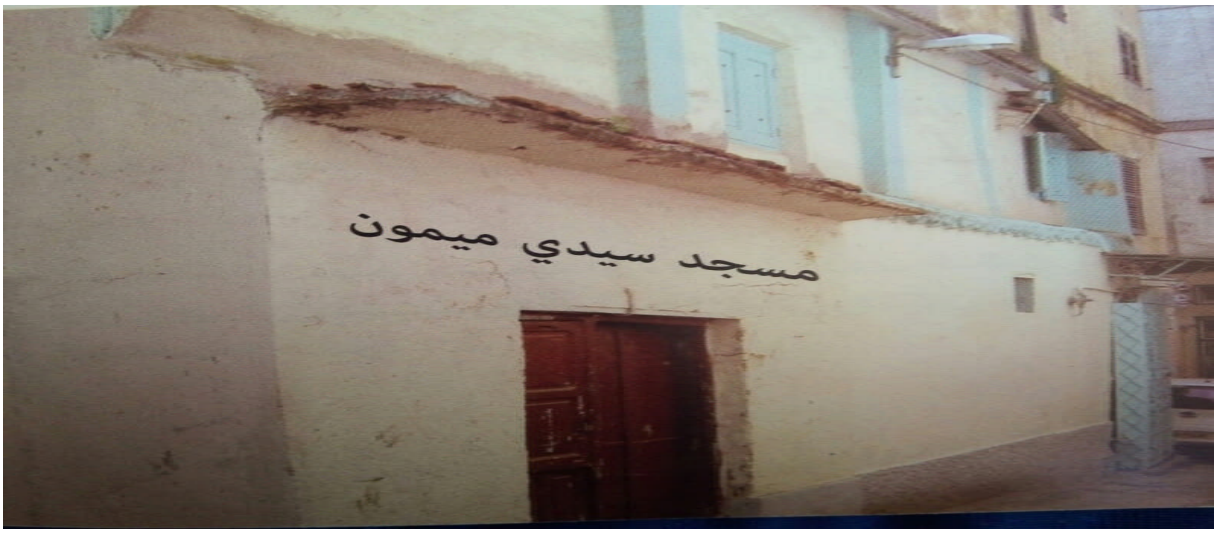

مسجد سيدي ميمون

المصدر: عزي بوخالفة: قسنطينة قلعة النور الخالدة، تص مع: سليم نجاعي، (د د)، قسنطينة، 2015، ص111.

ملحق رقم 11:

مسجد سيدي مغرف

المصدر: بوخالفة عزي: قسنطينة قلعة النور الخالدة، تص مع: سليم نجاعي، (د د)، قسنطينة، 2015، ص104.

ملحق رقم 12:

مسجد سيدي راشد

المصدر: بوخالفة عزي: قسنطينة قلعة النور الخالدة، تص مع: سليم نجاعي، (د د)، قسنطينة، 2015، ص105.

ملحق رقم 13:

مسجد سيدي عبد المؤمن

المصدر: بوخالفة عزي: قسنطينة قلعة النور الخالدة، تص مع: سليم نجاعي، (د د)، قسنطينة، 2015، ص100.

الملحق رقم 14:

جامع الأربعين شريفا

المصدر: بسكر محمد: الإنتاج المعرفي لمدينة قسنطينة ما بعد دولة الموحدين، معالمه وأعلامه، مج2، دار دادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، 2015، ص348.

ملحق رقم 15:

مسجد سيدي علي بن مخلوف

المصدر: بوخالفة عزي: قسنطينة قلعة النور الخالدة، تص مع: سليم نجاعي، (د د)، قسنطينة، 2015، ص107.

ملحق رقم 16:

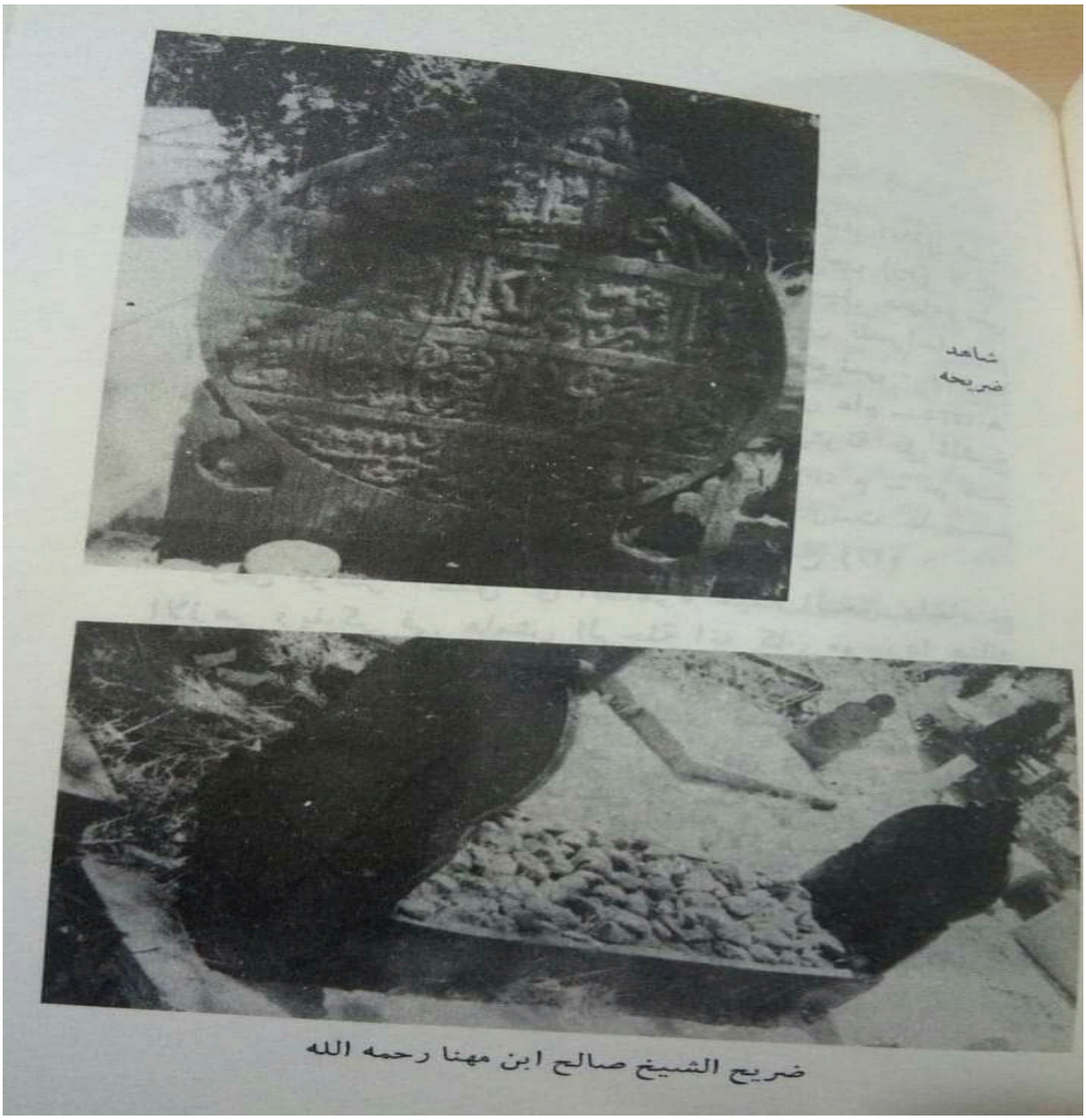

ضريح صالح بن مهنا وشاهد قبره

المصدر: الصيد سليمان: صالح بن مهنا القسنطيني (حياته، تراثه)، دار البعث، الجزائر، 1983، ص 37.

الملحق رقم 17:

الشيخ عبد القادر المجاوي

المصدر: أولمان سومية: دور الشيخ المجاوي عبد القادر وكتابه إرشاد المتعلمين في الصمود الفكري بالجزائر، الديوان الوطني، الجزائر 2013، ص146.

الملحق رقم18:

الشيخ المولود بن الموهوب

المصدر: بسكر محمد: الإنتاج المعرفي لمدينة قسنطينة ما بعد دولة الموحدين، معالمه وأعلامه، مج2، دار دادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، 2015، ص293.

الملحق رقم 19:

الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس

الشيح عبد الحميد باديس

المصدر: عبد الحميد بن باديس، أثار الامام عبد الحميد بن باديس(رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، ج3 وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص7.

الملحق رقم20:

الصفحه الاولى

الحمد لله

بيان الجوامع الذي بيد الفرنصيص أول ذلك

1- سيد البيازري.

2- جامع الجوزة.

3- سيد بوعنابة (هو زاوية عيساوة).

4- سيد الدهان.

5 سيد مسلم، بلاصة (ساحة ((une place)

6 - سيد فرغان، بلاصة.

7 جامع رحية الصوف، فيه الزرع.

8 - سيد علي بن مخلوف، فيه السرسور (الجند).

9 سيد عبد الهادي، سجن (هو سجن المدينة الآن

10-سيد راشد، مقفول (مغلق).

11 - سيد يحي الفصيلي، خراب.

12 سيد المدلسي في يد مدام مور.

13 سيد الزواغي في القصبة، في يد مدام زاقوا.

14 - جامع القصبة، خراب.

15سيد فلّيوا الكبير، خراب.

16زاويت صباط (عمر) دار الباي، في يد الجيني

(الهندسة العسكرية(génie).

17- زاويت (كذا) باب الواد، بلاصة.

18- سيد الدب في يد اليوطنة متاع السرسور (ضابط الجند).

19سيد الوراد، بلاصة.

بيان المساجد التي كانت ملك السلطة الفرنسية

المصدر: احميده عميراوي: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، (د ب)، 2004، ص150-151.

الملحق رقم21:

الصفحة الثانية

الحمد لله الجوامع الذي هما ملك الناس أول ذلك.

جامع الأخضر – سيد إبراهيم الراشدي– سيد الكتاني – سيد بومعزة– الجامع الكبير– الأربعون شريفا(نقل إليه رفات سيد علي بن مخلوف)[1]– سيد عبد الرحمن المناتقي (المناطقي)– سيد الرماح– سيد علي القفصي – سيد الجليس– زاويت (كذا) التلمساني – سيد فتح الله– زاويت الصفار – سيد عبد الملك– سيد قنيش – سيد كرامه– سيد يومن – سيد فليّوا– سيد محمد بن ميمون(مدفون بها محمد ميموني) – سيد محمد النجار– سيد محمد الشريف – سيد علي الطنجي– سيد الشاذلي – مسجد حفصة– زاويت رضوان – سيد بوعنابة–زاويت حنصالة (هي زاوية النجارين) – سيد بوراغدة– سيد قيس – سيد عمر الوزان– سيد حيدان – سيد بن عين الناس– سيد شقفة – الغرابة متاع سيد علي بن مخلوف– سيد نمديل – الغرابة متاع رحبة الصوف– سيد عبد الرحمن القروي – دار الحنفي القديمة– جامع خليل – سيد الفوال– سيد ياسمين – سيد مفرج– سيد النقاش – المدرسة متاع جامع الأخضر– سيد الحواري – سيد عفان المدرسة متاع سيدي الكتاني – سيد ميمون– سيد الدرار.

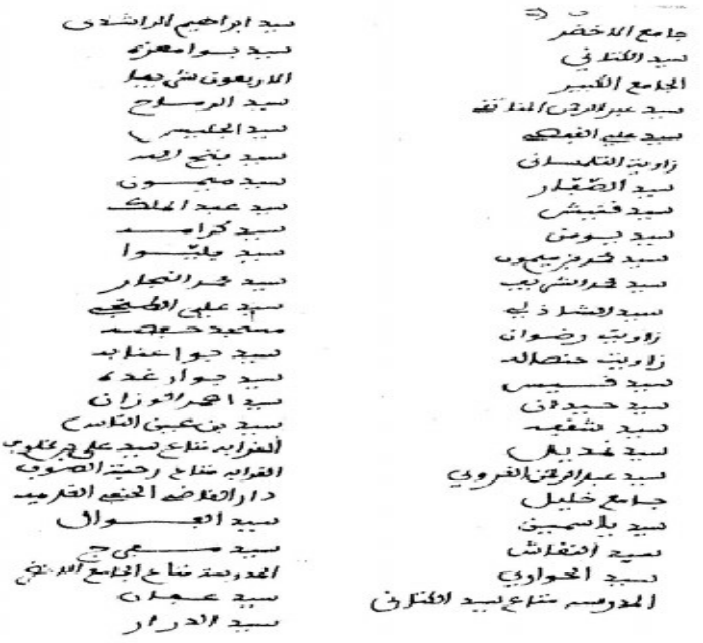

بيان المساجد الت كانت ملك الناس

المصدر: احميده عميراوي: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، (د ب)، 2004، ص151–152.

البيبليوغرافيا

أولا: المصادر

- الزهار أحمد الشريف: مذكرات أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، (1168-1246هـ/1754-1830م)، تق تع: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- الصيد سليمان: صالح بن مهنا القسنطيني (حياته، تراثه)، دار البعث، الجزائر، 1983.
_____: نفخ الأزهار عمّا في مدينة قسنطينة من أخبار، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، الجزائر، 1984.
- العدواني محمد بن محمد: تاريخ العدواني، تق تح تع: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د س).
- المجاوي عبد القادر: الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية، در تح: حسين سعدودي، دار المدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015
- الوزان حسن بن محمد: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د س).

- بن العنتري محمد الصالح: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مر تح: يحيى بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- بن باديس عبد الحميد: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخير، جم تر: توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان، تعل: أحمد شمس الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003.
_____: تفسير ابن باديس، مج1، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، 1430 هـ/2009م.
- شلوصر فندلين: قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، تر: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

- محفوظ محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، ج4، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985.
- مؤلف مجهول: أخبار بلد قسنطينة وحكامه، در تح: رياض بولحبال، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات العليا في علم المخطوط العربي، جامعة منتوري قسنطينة، 2009- 2010.
- مؤنس حسين: المساجد، عالم المعرفة، الكويت، 1981.

المصادر باللغة الأجنبية:

- Ernest Mercier: histoire de constantine concours de la societe archeologique1 constantine 1903.

ثانيا: المراجع

– ابن الخياط الزكاري الحسني أحمد بن محمد: الفهرسة الكبرى والصغرى، تح: محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت، 2003.

– أبو لحية نور الدين: جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما – دراسة علمية–، ط2، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الجزائر، 1437هـ/2016م.

– الحجوي محمد بن الحسن: مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى، تح: محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت، 2003.

– الدرع كمال: الشيخ المولود بن الموهوب–مفتي قسنطينة–(حياته وأثاره)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015.

– الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

– الشنقيطي محمد بن محفوظ ابن مختار فال: جواهر الدرر في نظم مبادئ أصول ابن باديس الأبر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426هـ/2005م.

– الطالبي عمار: آثار ابن باديس، مج1، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968.

– العازمي بدر حمد: تطبيقات التربية الإصلاحية في فكر الشيخ عبد الحميد بن باديس، كلية التربية الأساسية، الكويت، 2017.

– القادري محمد بن قاسم: إتحاف أهل الدراية بما لي من الأسانيد والرواية، تح: محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت، 2004.

– القحطاني سعيد بن علي بن وهف: المساجد (مفهوم وفضائل وأحكام وحقوق وآداب في ضوء الكتاب والسنة)، مؤسسة الجريسي للتوزيع و الإعلان، (د ب)، (د س).

– الميلي محمد: ابن باديس وعروبة الجزائر، منتدى سور الأزبكية، الجزائر، 2007.

– أولمان سومية: دور الشيخ المجاوي عبد القادر وكتابه إرشاد المتعلمين في الصمود الفكري بالجزائر، الديوان الوطني، الجزائر، 2013.

– بسكر محمد: الإنتاج المعرفي لمدينة قسنطينة ما بعد دولة الموحدين، معالمه وأعلامه، (مج1و2و3)، دار دادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، 2015.

– بلحميسي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

– بن بلة نايم خيرة: المساجد الجامعة بالجزائر في العهد العثماني، وزارة الثقافة، الجزائر، 2015.

– بن خوجة محمد الحبيب: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425هـ/2004م.

– بن نبي مالك: شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1968.

_____: مذكرات شاهد للقرن، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، (1404هـ/1984م).

– بوخالفة عزي: قسنطينة قلعة النور الخالدة، تص مع: سليم نجاعي، (د د)، قسنطينة، الجزائر، 2015.

– بورويبة رشيد: الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، تر: إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

_____: قسنطينة، ط2، سلسلة الفن والثقافة وزارة الاعلام والثقافة، الجزائر، 2013.

– بوعزة بوضرساية: الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري، رجل دولة ومقاوم (1830–1848)، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

– بونشادة عبد اللطيف بن العربي: سير أعلام قسنطينة، دار الموعظة للنشر والتوزيع، (د ب، د س).

– بوفاس عبد الحميد: جسور مدينة قسنطينة بين جماليات الأسطورة والحقيقة، تص مع: نجاعي، (د د، د ب، د س).

– جهيدة منتهل مقروس: حاضرة قسنطينة، كرتا النوميديّة و الرومانية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2011.

– جويبة عبد الكامل: قسنطينة المدينة الخالدة، دار سيدي الخير للكتاب، (د ب)، 2015.

– حميداتو مصطفى محمد: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1997.

– حميده عميراوي: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، (د ب)، 2004.

– خريوش عبد الرؤوف: دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب، جامعة القدس، فلسطين، (د س).

– دبوز محمد علي: نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

– دحدوح عبد القادر: المعالم الأثرية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة تحليلية، ج2، (د د)، قسنطينة، الجزائر، 2015.

_____: تاريخ وآثار مدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015.

_____: قسنطينة (محطات تاريخية أثرية)، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2015.

– رجال الطاهر: الحاج أحمد باي وقصره، سلسلة الجزائر من الأمس إلى الغد، الجزائر، 2016.

_____، بن صديق سكينة: يحكى عن مدينة اسمها قسنطينة، دار الرجاء للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.

– زروقة عبد الرشيد: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر(1913–1940)، دار الشهاب، بيروت، 1420هـ/1999م.

– زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الفكر العربي، (د ب، د س).

– سالم محمد بهي الدين: ابن باديس – فارس الإصلاح والتنوير–، دار الشروق، القاهرة، 1420هـ/1999.

– سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007.

_____: تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)، (ج1،و3و5و7و8)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

– سعيدوني ناصر الدين: الشرق الجزائري– بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي من خلال وثائق الأرشيف–، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

– سلمان نصر: صفحات من التاريخ السياسي والحضاري لمدينة قسنطينة من العهد النوميدي إلى عصرنا الحاضر، دار الشافعي للنشر والتوزيع ، قسنطينة، الجزائر، 2016.

– عبد الحفيظ بورايو: مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، ط2، دار مداد يونيفار سيتي براس، قسنطينة، الجزائر، 2013.

– عبد المنعم خفاجي علي صبح محمد: الأزهر في ألف عام، ط 3، ج 2، المكتبة الأثرية للتراث، القاهرة، 2011.

– عروق محمد الهادي: مدينة قسنطينة (دراسة في جغرافية العمران)، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د ب)، 1984.

– عزوق عبد الكريم: تطور المآذن في الجزائر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2006.

– علي بن شعيب محمد المهدي: أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980.

– عماري مصطفى: العمل الجمعوي ورهاناته في الحقل الديني بالجزائر، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، (د س).

– غربي كمال: المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2013.

– فيلالي عبد العزيز: جديدة عن جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس الدراسية، مؤسسة الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس، (د ب)، 2012.

– فيلالي عبد العزيز: عبد الحميد بن باديس (مرحلة التحصيل والتكوين)، دار الهدى للطباعة للنشر والتوزيع، عين مليلة، (د س).

_____: مجمل تاريخ قسنطينة السياسي العمراني الثقافي والاقتصادي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2017.

_____، عروق محمد الهادي: مدينة قسنطينة (دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية)، دار البعث للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، (د س).

- مزغاش مراد: جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر(1931-1954)، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.

- مقبل فهمي توفيق محمد: عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث (1307-1359هـ/1889-1940م).

- نور صالح: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي (1792-1873)لأوجين فايست، تق: عبدالرحمان شيبان، دار طليطلة، الجزائر، 2013.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Bourouiba Rachid:..apport de lalgerie a larchitectre relig ieuse, unite de reghaia, 1987.

الرسائل والمذكرات الجامعية:

- العياشي هواري: المسكن بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني (دراسة تاريخية أثرية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التراث والدراسات الأثرية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011.

- بن بلة خيرة: المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2007-2008.

- بن داود أحمد: المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم (1920-1954)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2016-2017.

- بوطبة عمار: المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2009- 2010.

- حروش مفيدة: أطلس المعالم الإسلامية بمنطقة قسنطينة (دراسة تاريخية أثرية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التراث والدراسات الأثرية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011.

- حمود رتيبة: الألغاز الشعبية في مدينة قسنطينة (دراسة إحصائية تحليلية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الشعبي، جامعة منتوري قسنطينة، 2004-2005.

– خليل كمال: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر، التأسيس والتطور (1850–1951)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2007–2008.

– دحدوح عبد القادر: مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر2، 2009–2010.

– درقاوي منصور: الموروث الثقافي العثماني بالجزائر مابين القرنين(10_13م/16–19م)، بين التأثير والتأثر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة بن بلة، وهران، 2014–2015.

– دريادي حميدة: الشيخ عبد القادر المجاوي ودوره في نهضة الجزائر الحديثة (1848–1914)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للآداب، بوزريعة، 2011–2012.

– سعودي يمينة: الحياة الأدبية في قسنطينة خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2005–2006.

– طالبي حمزة: الزخارف العمائرية في قصر أحمد باي بمدينة قسنطينة، دراسة فنية تحليلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار بالتراث والدراسات الأثرية، جامعة منتوري قسنطينة، 2011–2012.

– عرابي عامر علي: الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1408–1409هـ.

– قشوان عبد الرزاق: السلطة المحلية في بايلك قسنطينة (936–1253هـ/1592–1837م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر2، (1430–1431هـ/2009– 2010م).

– قماس زينب: المجمعات السكنية الحضرية بمدينة قسنطينة واقعها ومتطلبات تخطيطها (دراسة ميدانية للمنطقة السكنية الحضرية الجديدة)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الحضري، جامعة منتوري قسنطينة، 2005–2006.

– كعرار سميرة: فن الزخرفة في المنشات الدينية بالشرق الجزائري في الفترة العثمانية (دراسة نموذجية فنية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2007–2008.

– لعمامري عقيلة: العلامة الشيخ عبد القادر المجاوي من رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2005–2006.

- طرشي أحلام صابرينة: صناعة النحاس بقسنطينة، دراسة فنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الحرف والصناعة التقليدية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012-2011.

باللغة الأجنبية:

-Bakiri Rym: imbacide l'intervention coloniale sur la vielle ville de constantine cacdes maisons hybrids, memoire pour l'obtention du diplome de magistere option preservation du patrimoine architectural, 2011.

ثالثا: المقالات والمجلات والجرائد:

- أبو الروس خالد: أبو الفضل الجيزاوي... مصلح الأزهر وأحد قادة ثورة 19، جريدة مصابيح النهار، القاهرة، ع2790، 12 جوان 2016.

- الحسين سيد أحمد زايد علي زين العابدين وآخرون: جهود شيخ الأزهر إبراهيم الباجوري في خدمة المذهب الشافعي، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصيصية، جامعة ملايا، كرالالمبور، ع2، أفريل 2018.

- الدرع كمال: ملخص من كتاب " المفتي القسنطيني والمصلح الاجتماعي الشيخ المولود بن الموهوب"، مجلة محكمة نصف سنوية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ع13، 1437هـ/2015م، الجزائر.

- الشمري شعبان حسين الله علوان: واجهات الفكر الدعوي الإصلاحي للشيخ الفضيل الورتلاني، مجلة كلية التربية الأساسية، مج20، ع82.

- العربي،س: الجامع الكبير معلم لثراء التراث المشيد بقسنطينة، 2018/03/17، elmassar.ar.com.

- القاسمي أسامة نور: المساجد... دورها في الإسلام ماضيا وحاضرا، مجلة الداعي، ع3، 2013.

- الوهيبي مسلم سالم: الدور التربوي للمسجد في غرس قيم المواطنة، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مج35، ع1، جامعة قطر، (1438هـ/2017م).

- إمتثال كاظم النقيب: المحاريب العراقية ، تاريخها، أنواعها في العصر العباسي، مجلة التراث العلمي العربي، ع3، جامعة بغداد، 2017.

- أوفة سليم: الشيخ عبد القادر المجاوي وإسهاماته في نهضة الجزائر الحديثة (1848-1914)، قضايا تاريخية، ع1، 2016.

- باي زكوب عبد العالي، وسوهير بن محمد: الإمام المصلح عبد الحمي بن باديس حياته وجهوده التربوية، مجلة الإسلام في آسيا، مج12، ع1، الجامعة الإسلامية العلمية الماليزية، جوان 2015.

- بردي صليحة: الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني (دراسة في الواقع والمعطيات)، مجلة الذاكرة، ع11، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، جوان 2018.

- بليل حسني: الشيخ عبد القادر المجاوي التلمساني (1264-1332هـ/1848-1914م)، مجلة العصور الجديدة، ع2.

- بوعكاز عادل: قسنطينة... مدينة جزائرية بحبس جمال جسورها المعلقة الأنفاس، جريدة الشرق الأوسط، ع 11614، 2010.

- بوفلاقة سعد: قسنطينة في عيون الرحالة والجغرافيين، حوليات جامعة الجزائر1، ج 2، ع 30، 1909.

- بومعزة زوليخة: مدينة قسنيطينة القديمة وإشكالية التراث المعماري، دفاتر إنسانيات، ع 2، 2010.

- خريوش عبد الرؤوف: دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب، جامعة القدس، فلسطين، (د س).

- خلف ياسين توفيق: العوامل المؤثرة على الفكر السياسي للشيخ عبد الحميد بن باديس، مجلة سامراء، مج9، ع33، جامعة سامراء، أفريل 2013.

- ز، الزبير: مساجد قسنطينة العتيقة معالم ألبست سيرتا ثوب الأصالة الإسلامية، 29-05-2009، جريدة المساء، www.djazairess.com

- سعيدوني ناصر الدين: وصف مدينة قسنطينة، مجلة الأصالة، مج 19، ع 56-61، (1398هـ/1978م).

- ص، رضوان: سيدي قموش...مسجد آل ابن باديس ومنطلق دروس الإصلاح، جريدة النصر، يومية، 2018/12/17.

- عبيد مصطفى: الروافد الفكرية للشيخ عبد القادر المجاوي وأثرها في توجهه وجهوده من أجل نهضة الجزائر (1870-1914)، أصوات الشمال، مجلة عربية ثقافية اجتماعية شاملة، 22-3-2019.

- عليوان السعيد: فلسفة ابن باديس في الإصلاح، المفهوم، المجالات والوسائل، مجلة المعيار، ، ع42، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، جوان 2017.

- فوغالي زين العابدين: مسجد ابن باديس يعاني الإهمال ويتحول إلى مفرغة للقمامة، جريدة النصر، يومية، 2017/08/27.

- قاصري محمد السعيد: المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، مجلة عصور جديدة، ع18، أوت(1436هـ/2015م).

- قشي فاطمة الزهراء: قسنطينة في عهد صالح باي، منشورات ميديا بليس، قسنطينة، 2005.

_____: معالم قسنطينة وأعلامها، إنسانيات، ع 19-20، 2003.

- محمد حمدان رمضان: دور المسجد في تحقيق الاندماج السياسي في المجتمع الراقي المعاصر، دراسة تحليلية من منظور اجتماعي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج7، ع 13، (1434هـ/2013م).

- نوي وردة: الجامع الكبير بقسنطينة تحفة تستقبل المصلين منذ 8 قرون، جريدة الفجر، 2011/08/06 www.djazairess.com.

المقالات باللغة الأجنبية:

- Meriem Redjem: le role de la mosquee en algerie dans la configuaration de la ville a lepoque coloniale française, deparant darchitecture, universite badji mokhtar, annaba, algerie,2003.

رابعا: الندوات والمؤتمرات:

- عبد اللاّوي يوسف: التعليم الشرعي في الجزائر (واقعه)، مؤتمر دولي بعنوان التعليم الديني في كل من فلسطين والجزائر، يوم 12-05-2017، تركيا.

- بن عبد العزيز الجديد منصور: المسجد في الإسلام (حدوده وتاريخه، أبرز الضوابط الشرعية المتعلقة بعمارته)، أبحاث ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة و التخطيط، جامعة الملك سعود الرياض، (1419هـ/1999م).

- أعمال ندوة المجلس الأعلى للغة العربية: دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على اللغة العربية وأثره في الهوية اللغوية، ج1، منشورات المجلس، الجزائر، 2016.

خامسا: الملتقيات:

- بن حمود العصيمي جمعان: دور المسجد في الوقاية من التطرف، أعمال ملتقى علمي حول دور الأسرة في الوقاية من التطرف، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، يوم 17، 18-1-1438هـ، السعودية.

- ب عبد الرزاق: العلامة صالح بن مهنا وجهوده في التعليم والإصلاح (1840-1910)، أعمال ملتقى وطني حول حياة وجهود العلامة الشيخ صالح بن مهنا، يوم 5- 6 جويلية 2017، سكيكدة.

- دويدة نفيسة: ملامح الريادة عند المجاوي، أعمال ملتقى وطني بتلمسان حول الشيخ عبد القادر المجاوي، يوم 28-27 نوفمبر 2011، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر.

- حمزة بوكوشة: شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي، أعمال ملتقى وطني بتلمسان حول الشيخ عبد القادر المجاوي، يوم 28-27 نوفمبر 2011، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر.

ساسا: المعاجم:

- بن حسان مصطفى: معجم أعلام قسنطينة من صدر الإسلام الى ما بعد استقلال، ج2، مج2، دار الإمام مالك للكتاب، قسنطينة، الجزائر، 2015.

- الحموي ياقوت: معجم البلدان، ط2، مج4، دار صادر، بيروت، 1995.

- نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، (1400هـ/1980م).

-معجم البابطين: شعراء العربية في القرنين التاسع عشر و العشرين، مج17، الكويت، 2008.

- بوصفصاف عبد الكريم وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، دار الهدى، جامعة منتوري قسنطينة، 2002.

سابعا: المواقع الالكترونية:

www.fondatinkettani.org

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الإهداء

شكر وتقدير

مقدمة.....أ

مدخل.....7

الفصل الأول: الوضع الثقافي بمدينة قسنطينة

أولا: الوضع الثقافي بقسنطينة أواخر العهد العثماني (1771-1830).....15

ثانيا: الوضع الثقافي بقسنطينة غداة الاحتلال الفرنسي (1837-1940).....18

ثالثا: حركة التعليم بالمدارس القسنطينية 21

رابعا: الدور التربوي والتعليمي لمساجد قسنطينة 29

الفصل الثاني: نماذج عن مساجد قسنطينة

أولا: الجامع الكبير.....35

ثانيا: جامع سوق الغزل.....40

ثالثا: الجامع الأخضر 45

رابعا: جامع سيدي الكتاني.....50

خامسا: باقي مساجد قسنطينة.....57

الفصل الثالث: نماذج لعلماء مساجد قسنطينة

أولا: صالح بن مهنا.....66

ثانيا: عبد القادر المجاوي.....71

ثالثا: المولود بن الموهوب.....79

رابعا: الشيخ عبد الحميد بن باديس.....84

الخاتمة.....96

الملاحق.....99

البيبليوغرافيا.....116

فهرس الموضوعات.....128

ملخص الدراسة:

مساجد قسنطينة ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية (1837-1940).

تعالج هذه الدراسة أهم المساجد بقسنطينة والتي كان تاريخ تأسيس معظمها أواخر العهد العثماني وقد ضلت تحافظ على اسمها، وبلغت من المستوى العلمي والعمراني ما يعادل ويناهض تلك المساجد الموجودة في المشرق والمغرب، فحاولنا تتبع تاريخ هاته المساجد وتسليط الضوء على الأهم منها والتي دفعت عجلة العلم والثقافة بمدينة قسنطينة، وحملت على عاتقها محاربة الجهل والأمية وكل أنواع العنصرية وأخرجت من كنفها جملة من العلماء الذين استطاعوا أن يخلقوا جيلا واعيا مثقفا.

Résume en Français:

Les mosquées de Constantine et leur rôle dans la préservation de l'identité nationale.

Cette étude porte sur les mosquées les plus importantes de Constantine dont la plupart datent de l'ère ottomane, encore préservées du point de vue scientifique et architectural elles sont situées au Mashrek et au Maghreb, nous avons essayée de suivre leur histoire et de mettre en évidence les plus importante elle s'est engagée a lutter contre ignorance, et l'analphabétisme et toutes les formes de racisme en rassemblant de nombreux érudits qui a leur ont créé une génération instruite éduquée et consciente.